(٢)

المدرسة الصالحية
بمصر الأيوبية ودورها في نشر الثقافة الإسلامية

د. إبراهيم فرغل محمد
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد
بكلية دار العلوم – جامعة الفيوم

أسهمت الدولة الإسلامية منذ أوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بشكل فعال في إنشاء المدارس باعتبارها مؤسسات تعليمية ذات مستوىٰ عالٍ، هدفها التفقيه في الدين حسب المذاهب السنية والتبحر في العلم ونشر الإسلام والثقافة العربية.

ولاشك أن الحياة العلمية تشكل جانبًا مهما من جوانب الحضارة العربية الإسلامية، وذلك لاهتمام الإسلام بالعلم والعلماء وتشجيعهم علىٰ طلب العلم واحترام وتقدير طالبه وعالمه علىٰ حد سواء.

ونظرًا لأهمية المدارس ودورها العلمي والثقافي عبر عصور تاريخنا وحضارتنا العربية والإسلامية، فقد قمت باختيار موضوع البحث عن واحدة من أهم تلك المدارس، وهي المدرسة الصالحية، فكان عنوان البحث: «المدرسة الصالحية بمصر الأيوبية ودورها في نشر الثقافة الإسلامية» وهو موضوع بحث جديد يتناول تاريخ هذه المدرسة من حيث البناء والتأسيس والمؤسس والمكان والزمان، والأوقاف التي خصصت للإنفاق عليها، وما قامت به من دور حضاري، وكذلك مساهمتها في نشر الفكر والوعي الثقافي خلال فترة مهمة من تاريخ مصر الإسلامية وهي حقبة العصر الأيوبي.

وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب المتوفىٰ سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م قد أنشأ هذه المدرسة سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م، وأتمها سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م، وهو سابع من ولي ملك مصر من سلاطين الدولة الأيوبية، وقد أقامها علىٰ جزء من المساحة التي كان يشغلها القصر الفاطمي الكبير في قلب القاهرة الفاطمية، وكان الهدف من إنشاء هذه المؤسسة الكبرىٰ هو تدريس المذاهب السنية الأربعة، الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة، وبذلك كانت أول مدرسة بمصر تشمل دروسًا أربعة في مكان واحد، ومن هنا تأتي أهمية ومكانة تلك المدرسة من بين المدارس الأخرىٰ التي أسست في مصر خلال العصر الأيوبي.

ونظرًا لأهمية هذه المدرسة في تاريخ مصر الأيوبية ودورها السياسي والاجتماعي في ذلك الوقت، رأيت أن أقوم بدراسة تفصيلية عنها وبخاصة لأن تاريخها والحديث عنها كان يكتب عرضا ضمن الحديث عن مدارس مصر في العصر الأيوبي، وكان البعض يكتب عنها من الناحية العمرانية فقط، أي من حيث البناء والتخطيط والآثار المتبقية منها دون التعرض لدورها التاريخي والثقافي في هذه الفترة المهمة من تاريخنا الإسلامي..

وجدير بالذكر أن أطلال المدرسة الصالحية ظلت واقفة تخلد اسم من شيدها، كما تشير أيضًا إلىٰ روعة العمارة الإسلامية وخلودها.

وقد أطلق علىٰ المدرسة اسم المدرسة الصالحية أو المدارس الصالحية، وذلك لجمعها بين المذاهب الأربعة، ورغم أنها جاءت مع نهاية العصر الأيوبي إلا أنها كانت شاهدة علىٰ تحقيق التوازن بين المذاهب الفقهية الأربعة في ذلك الوقت.

ومن المنطقي تصور أن المشكلة الرئيسية التي كانت تشكل عاملاً مهمًا ورئيسيًا أمام سلاطين بني أيوب في مصر هي إحياء المذهب السني من جديد، ولذلك كان إنشاء المؤسسات التعليمية المختلفة والمعروفة بالمدارس من أهم أساليب الدعوة إلىٰ إحياء المذهب السني، ورغم أن تلك المؤسسات قد أخذت في الظهور بمصر

قبيل العصر الأيوبي بصورة ضعيفة، إلا أن ملوك الدولة الأيوبية أكثروا من تلك المدارس في كافة أنحاء البلاد المصرية، إيمانا منهم بأهميتها في إحياء المذاهب السنية، وقد تنوعت تلك المدارس ما بين مدارس خصصت لتدريس مذهب واحد أو مذهبين أو المذاهب الأربعة مجتمعة كما تمثل ذلك في المدرسة الصالحية.

وقد أشارت الروايات التاريخية وأقوال بعض المؤرخين أن بناء المدرسة الصالحية كان تقربا إلىٰ الله عز وجل لنشر العلم، خاصة الفقه الإسلامي، ولذلك اعتبروا أن مثل هذه المدرسة بمثابة معهد عال أو كلية جامعية بمفهوم اليوم.

ومن ناحية أخرىٰ فإن اختيار موضوع البحث عن المدرسة الصالحية بمصر الأيوبية له أسباب متعلقة بمصر ووضعها السياسي والثقافي والاجتماعي في تلك الحقبة، فضلاً عن الأسباب المتعلقة بأهمية الدور الذي لعبته تلك المدرسة في إحياء المذهب السني وتنوع الثقافة الإسلامية بمصر الأيوبية، وذلك من خلال ما وفرته من تهيئة البيئة المناسبة للمدرسين والطلبة علىٰ حد سواء بقصد الوصول إلىٰ ذلك الغرض.

وتأتي أهمية هذه المدرسة أيضًا في أنها أتاحت الفرصة للحنابلة كي يسهموا في بجهودهم في حركة الإحياء السني في مصر، ذلك أنهم حتىٰ تاريخ إنشاء هذه المدرسة كانوا الفئة الوحيدة ـ من بين طوائف السنة ـ التي لم يهتم الأيوبيون الأولون بإنشاء مدارس لها، ولعل السر في عدم الاهتمام بأمرهم أنهم كانوا قلة نادرة.

ولا يمكن إنكار أن مصر ظلت خلال القرون الثلاثة الأولىٰ للهجرة بعيدة كل البعد عن الصراع الفكري والمذهبي بين أهل السنة والشيعة، اللهم إلا في القليل النادر، فقد كان أكثر مسلمي مصر علىٰ مذهب أهل السنة والجماعة، وقد ساهمت المدرسة الصالحية إسهامًا حقيقيًا في فك العزلة الثقافية التي سهل الفاطميون فرضها إبان حكمهم في مصر، إذ شجعت تلك المدرسة وغيرها من المدارس الأيوبية الأخرىٰ الكثير من كبار العلماء في البلاد الإسلامية علىٰ القدوم إلىٰ مصر للتدريس

بمدارسها والاستماع إلىٰ علمائها، كما أثرت في انتشار علوم أهل السنة من فقه وتفسير وحديث وقراءات، وقامت بدور سياسي واجتماعي في مصر من خلال العصر الأيوبي لا يمكن تجاهله.

قبل بداية الحديث عن المدرسة الصالحية، وتاريخها يكون من المنطقي إلقاء نظرة على نشأة المدرسة في الإسلام، والحقيقة أن الحضارة العربية الإسلامية تميزت باهتمامها الكبير بالجانب الثقافي وما بلغته المعرفة من تطور كبير وما أصاب التعلم من ازدهار واسع ولا شك أن إنشاء المدارس في الإسلام كان من المنجزات العظيمة التي حققت الأهداف العلمية والتربوية وقدمت الخدمات الجليلة للإنسانية جمعاء.

وقد اختلف العلماء حول أصل " المدرسة " ونشأتها ووجدت عدة نظريات تبناها بعض العلماء العرب والمستشرقين حول نشأة المدرسة (١)

والواقع أن البحث عن أول مدرسة بنيت في الإسلام أمر عسير، وقد انعكست تلك الصعوبة علىٰ كتابات بعض الباحثين فأوقعهم في خلط كبير فيما ينقلون ويفهمون من النصوص، ولكن الرأي المرجح أن بناء المدارس في الإسلام قد حدث في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، حيث تشير الروايات

---

١) كلمة " مدرسة" لها معان متباينة إذا ردت إلىٰ أصلها الثلاثي "درس" لأن معناها اندثر وانمحىٰ ومعناها أيضا قرأ في العبرية وفي اللغات السامية معناها فحص أو اجتهد، أما اللغويون فقد قالوا إن "درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة بمعنىٰ عاود الكتاب قراءة فيه، ومعنىٰ ذلك أن كلمة مدرسة لها علاقة بالعملية التعليمية، انظر: ابن منظور: لسان العرب ج ٧ ص٣٨٢، والفيروزآبادي: القاموس المحيط ج٢ ص٢١٥، عبد القادر مصطفىٰ: الاشتقاق والتدريب ص١٦ وما بعدها، وسعيد إسماعيل: معاهد التربية الإسلامية ص ٢٦٤.

التاريخية أن مدينة نيسابور كانت رائدة المدن الإسلامية في إنشاء المدارس خلال تلك الفترة(١)

وكانت بدايات إنشاء أهل نيسابور للمدارس تشييد مدرسة للعالم أبي بكر البيهقي المتوفىٰ سنة ٤٥٨ هـ (٢)

ومنذ ذلك الحين أصبح للمدارس أثر كبير في الحركة الفكرية في العالم الإسلامي، الأمر الذي أدىٰ لكثير من المهتمين بذلك من فقهاء وعلماء ووزراء إلىٰ الحرص علىٰ بناء المدارس.

ومن الجدير بالذكر أن هناك مجموعة من الأسباب والدوافع أدت إلىٰ ظهور المدرسة عند المسلمين، فمن الناحية الدينة كان التركيز عند المسلمين علىٰ العلم الديني فأقبل الناس علىٰ التعلم والتعليم، أما من الناحية السياسية فيتضح من خلال إقامة الفاطميين والسلاجقة والأيوبيين لمؤسسات التعليم أن كلا منهم أراد أن يواجه خصومه من السبيل الذي ملكه وليفسد كل علىٰ الآخر خططه، فجعلوا التربية أحد أسلحتهم لمحاربة واقتلاع آثار الآخرين نظرًا لاختلاف المذاهب بعد أن أدرك الجميع أن القوة والعنف لا تجدي نفعًا فاستخدموا التربية بدلاً للقوة المسلحة والسجن والقتل والتعذيب، ولا يمكن أن ننسىٰ الدوافع الثقافية التي كانت عند الخليفة أو السلطان أو الأمير أو الوزير أو الوالي أو العالم فقد جمع الكثير منهم ثقافة عالية مع رغبة شديدة في نشر العلم(٣)

---

١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ١ ص ٩. ونيسابور: بفتح أوله والعامة يسمونها نشادور، مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء وهي من مدن خرسان فتحت في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٥ ص٣٣١ ـ ٣٣٣ دار صادر ، بيروت، والحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٥٨٨، ت إحسان عباس ـ لبنان بيروت.

٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ١ ص ٩.

٣) د. منير سعد الدين: المدرسة عند المسلمين، مجلة التراث العربي ـ دمشق عدد ٤٨/ يوليو ١٩٩٢م، السنة ١٢ص ٧٢، ٧٣.

وذكر بعض الباحثين أن المدرسة قد استوحيت من الأديرة البوذية في آسيا الوسطىٰ[1] في حين ذكر بعضهم أن المدارس الأولىٰ قد ظهرت في نيسابور[2] ومرو[3] وبخارىٰ[4].

وذكر الأستاذ أحمد فكري في كتابه مساجد القاهرة ومدارسها أن المدرسة كانت هي التطور المنطقي للمسجد[5].

أما الأستاذ جورج مقدسي فيعتقد أن المدرسة هي تطور "للخانات" التي كان يقيم بها الطلبة الغرباء عند ترددهم علىٰ كبار العلماء والمشايخ في القرن الرابع[1].

---

١) وهذا ما افترضه بارتولد **Barthold** ، انظر د.أيمن فؤاد: المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي ص٨٩، وذلك نقلا عن:

Leiser.G:notes on the madrasa in medieval Islamic soviety. Mw. Lxxv1 (1981) p.16.

٢) نيسابور: بفتح أوله، والعامة يسمونها نشادور، وهي مدينة عظيمة، ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، وهي من مدن خراسان، فتحت في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، انظر:ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٣١-٣٣٣، دار صادر - بيروت.

الحميري،الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٥٨٨، ت إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت.

٣) مرو: مدينة كبرىٰ تقع في إقليم خراسان علىٰ نهر جيحون، وكانت تعرف ف العصور الوسطىٰ بمرو الشاهجان، ومعناه نفس السلطان، انظر: الحميري،الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٥٣٢-٥٣٣.

كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٣٩-٤٤٤، ط٢، ترجمة بشير فرانسيس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

٤) بخارىٰ: هي المدينة التي اتخذها السامانيون حاضرة لدولتهم، التي شملت بلاد ما وراء النهر وخراسان، وهي مدينة قديمة، نشأت قبل الإسلام بقرون، وكان يقطنها الترك، وقد فتحها القائد العربي قتيبة بن مسلم، وأنشأ بها المسجد الجامع سنة ٩٤هـ/ ٧١٣م، وقال عنها ياقوت الحموي في معجمه إنها من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، كثيرة البساتين، واسعة الفواكه، قال عنها كي ليسترنج: هي مدينة كبرىٰ اشتهرت بخصوبة أرضها. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٣٥٣. كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٣-٥٠٦.

٥) أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م، ص١٢١، ١٢٢.

وقد اختلفت أقوال الباحثين المحدثين حول ما إذا كانت المدارس الإسلامية ابتكاراً سُنِّيًا[٢] أو أنها كانت بمثابة استحداثٍ شيعيٍّ. وعمومًا فقد كانت المدارس أهم مؤسسات الحضارة الإسلامية، وقد غطت أهميتها الدينية والتعليمية والسياسية والاجتماعية علىٰ أية مؤسسة مشابهة أخرىٰ مثل: دار العلم أو بيت الحكمة، أو دار الحديث أو دار القرآن أو الخانقاه أو الرباط، ولم يحتفظ بأهميته ومكانته الخاصة بين مؤسسات الحضارة الإسلامية سوىٰ "المسجد الجامع" فقط.

واتفق كثير من الباحثين علىٰ أن المدارس الأولىٰ في الإسلام إنما أنشئت في نيسابور عاصمة خراسان، وامتدت إلىٰ مدن مرو وبخارىٰ في فترة حكم السلطان محمود الغزنوي (٣٩١هـ- ٤٢١هـ/ ٩٩٩- ١٠٣٠م)[٣] وكانت المدارس الأولىٰ في عصر الغزنويين موجهة ضد المخالفين في الرأي من الكرامية الذين أنشأوا "خانقاوات" [٤] كمراكز للتعليم والتبشير وذلك في مناطق خراسان وما وراء

---

١) جورج مقدسي: مؤسسات التعليم الإسلامية ببغداد في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ص ٣٠٣ القاهرة، ١٩٦٩م، ص١٢١، ١٢٢.

٢) د.أيمن فؤاد سيد: المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي، أبحاث ندوة المدارس في مصر الإسلامية، ص ٨٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٢م.

٣) حسين أمين: المسجد، المعهد الأول للتعليم عند المسلمين، مجلة كلية الآداب، الإسكندرية، عدد٢٢، سنة ١٩٦٨م، ص٢٥.

٤) الخوانق: بيوت أعدها الصوفية لكي يخلو عنها إلىٰ عبادة الله، وذكر المؤرخ المقريزي أن الخوانق حدث عملها في الإسلام خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي إلا أن بعض الباحثين أرخوا لظهور الخوانق قبل القرن الرابع الهجري، بل قبل ظهور الصوفية، ومثال ذلك آدم ميتز الذي ذكر أيضًا أن الخوانق جاءت محاكية لبيوت الرهبة عند اليهود والنصارىٰ، أنظر: المقريزي: الخطط ج٣ص٤١٤، وآدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت ط٤، ١٩٦٧م، ج٢ ص ٢١،٢٩.

النهر، وفي جرجان وطبرستان وفي بيت المقدس بالقرب من قبر ابن كرام[1]، المتوفي سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م، وأصبحت هذه الخانقاوات هي النموذج والمحرك لحركة إنشاء المدارس التي نشطت في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي علىٰ أيدي الأشاعرة، ولكن هذه الصلة تظل مع ذلك في حاجة إلىٰ إثبات.

وبعد أن جاء السلاجقة بعد الغزنويين وبلغت إمبراطوريتهم أقصىٰ اتساع لها في أراضي المشرق الإسلامي، دافعوا عن مذاهب أهل السنة في مواجهة الفاطميين الشيعة، وكان وصولهم إلىٰ قمة السلطة يمثل انتصارًا للمذهب الأشعري[2] الذي حل محل آراء المعتزلة التي أخذت في الانزواء، وكانت الأشعرية قد حققت نصرها في بغداد في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، (عصر ازدهار المدارس)، وذلك بفضل المدارس النظامية وخاصة نظامية بغداد.

وقد تولىٰ السلاجقة ابتداء من وصول نظام الملك إلىٰ الوزارة محاربة الفاطميين عن طريق إنشاء المدارس، لتأييد المذاهب الفقهية السنية وخاصة الأشعري الشافعي ومن هنا جاء القول بأن المدارس ابتكار سني[3].

---

١) هو أبو عبد الله محمد بن كرام، من المشبهة أو المجسمة الذين يرون أن الله جوهر وله جسم وقدم إلىٰ الشام وتوفي سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م وكان الكثير من أتباعه يعيشون حياة زاهدة، وفي نهاية القرن الرابع كانوا يملكون زوايا في جرجان طبرستان وسمرقند، وفي هذه الزوايا تعودوا أن تكون لهم مؤسسات يدرسون فيها العقائد بصفة خاصة، أنظر: الشهرستاني: الملل والنحل ج١ ص١٠٨، والمقريزي: الخطط ج٢ ص٣٥٧، والمقدسي: أحسن التقاسيم ص٣٥٦.

٢) من الجدير بالذكر هنا أن المذهب الأشعري ينسب إلىٰ الإمام أبي الحسن بن إسماعيل الأشعري المتوفىٰ في بغداد سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م، وهو مؤسس مدرسة علم الكلام السني، كان معتزليًا ثم ترك الاعتزال واتجه إلىٰ مذهب أهل السنة وكان علماء الأشعرية مضطهدين في أول عهد السلاجقة، ولكن نظام الملك كان يعتنق مذهب الأشعري فقضىٰ علىٰ هذا الاضطهاد، أنظر الشهرستاني:الملل والنحل، ج١، ص٩٤.

٣) د. أيمن فؤاد: مرجع سابق، ص ٩٦.

ولاشك أن ازدهار المدارس في شرق العالم الإسلامي يدين إلىٰ سياسة نظام الملك، وذلك ما أشار إليه المؤرخ ابن خلكان المتوفىٰ سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م من أن نظام الملك بنىٰ المدارس والربط والمساجد في البلاد، هو أول من أنشأ المدارس فاقتدىٰ به الناس [١]. وقد تعددت مدارسه في بغداد وبلخ ونيسابور وهراة وأصبهان والبصرة وآمل والموصل، وإذا كانت هناك مدارس قد تم إنشاؤها قبل مدارس نظام الملك بفترة علىٰ أيدي علماء العرب المشهورين في منطقة خراسان وما وراء النهر[٢] فإن نظام الملك كان أول من قام بعمل رسمي قامت به الدولة الإسلامية لتنظيم الدراسة وتهيئة مستلزماتها وحاجاتها[٣]، وقد استمر ازدهار المدارس بعد الوزير السلجوقي نظام الملك فترة طويلة ، حتىٰ إن ابن جبير الذي زار العراق نحو سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م أشار إلىٰ وجود نحو ثلاثين مدرسة تقع كلها في الجانب الشرقي لبغداد.

ومن المنطقي تصور أن تاريخ إنشاء المدارس في العالم الإسلامي قد تتابع إلىٰ حد كبير بعد تاريخ إنشاء المدرسة النظامية ببغداد، حيث كان للسلاجقة دورهم الرائد في إنشاء المدارس وكان للأتابكة[٤] بعد ذلك الدور الرئيسي في إنشاء

---

١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج١ ص ٣٦٩.

٢) ومثال ذلك مدرسة ابن حيان التميمي، أبو حاتم المتوفىٰ سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م، والذي كانت داره مدرسة لأصحابه أو مسكنًا للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقه، وكان بها خزانة كتب، أنظر : ياقوت الحموي معجم البلدان ج١ص ٤١٨ .

٣) د منير سعد الدين: المدرسة عند المسلمين، مجلة التراث العربي ، دمشق عدد ٤٨/ يوليو ١٩٩٢م السنة١٢ ص٦٩.

٤) الأتابك: كلمة مكونة من مقطعين (أتا) ومعناها (أب)، و(بك) ومعناه (أمير)، فالمعنىٰ الأمير الوالد أو أبو الأمير، أو السيد الوالد، وأول من لقب بذلك نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقي، حين فوض إليه السلطان ملكشاه تدبير المملكة سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م، ثم تطورت مهمة الأتابك علىٰ مر السنين إلىٰ الاستقلال بحكم البلاد البعيدة عن العاصمة، أنظر: السيوطي تاريخ الخلفاء، ص٢٧٩، ط القاهرة١٩٨٠م،

المدارس لاسيما في مصر وسوريا واليمن، وفي ذلك يقول المؤرخ الكبير سعيد عاشور: «وكان من الطبيعي أن يحاكىٰ الأتابكة في العراق والشام سادتهم سلاطين السلاجقة في إنشاء المدارس، فأقاموا الكثير منها مثل المدرسة الأتابكية التي أنشأها سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي بالموصل قرابة منتصف القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي» [1] . أما إنشاء المدارس في بلاد المغرب فقد تأخر إلىٰ ما بعد ذلك، ربما حتىٰ أواخر القرن السابع الهجري في عصر الدولة المرينية.

وبناء علىٰ ما أورده المؤرخون وبعد سرد نصوصهم وأقاويلهم يتضح أن هناك حقيقة مهمة وثابتة مؤداها أن المدارس الأولىٰ في الإسلام كانت قد نشأت في كنف فقهاء الشافعية بنيسابور، ثم إن حركة مدرسية بعد ذلك قد تبنىٰ أمرها الشافعية الأشاعرة علىٰ عهد نظام الملك، وذلك في بغداد وغيرها من المدن، ثم إن حركة مدرسية تالية ارتبطت نشأتها بالمذهب الأشعري في مصر والشام زمن الدولتين (النورية والأيوبية) ثم تأتي المرحلة الأخيرة من الحركة المدرسية وهي التي امتدت لتشمل كل مذاهب أهل السنة[2].

والقلقشندي: صبح الأعشىٰ ج٢ ص١٨ ط القاهرة ١٩١٣م، وحسن الباشا: الألقاب الإسلامية ص١٢٢، ط القاهرة سنة١٩٧٨م.

وفي المعجم الفارسي نجد أن كلمة أتابك كلمة تركية ترجمتها الحرفية السيد الوالد وكانت لقبًا يطلق علىٰ حكام شيراز، وكانت لقبًا أيضًا يطلق علىٰ معلم الأمير أو مربيه في العهد السلجوقي، وهي كذلك اسم لعدد من الأسرات الحاكمة التي تفرعت من الأسرة السلجوقية، راجع: دإبراهيم الدسوقي شتا: المعجم الفارسي الكبير ج١ ص٢٦، ط مكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٩٢م.

١) سعيد عاشور: الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، ص١٤١، ط القاهرة ١٩٩٠م.

٢) أحمد عبد الحميد خفاجي: المدارس الإسلامية في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، رسالة دكتوراه، القاهرة ١٩٩٩م، ص٤٥-٤٦.

ومؤسس المدرسة الصالحية هو الملك الصالح نـجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٣٩- ١٢٤٩م)، كان من أشهر ملوك بني أيوب ولعًا بفن العمارة، كما أنه اشتهر أيضًا بتشجيعه للعلم والعلماء، وكان من أهم آثاره في هذا المجال تأسيس المدرسة الصالحية سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م.

وقد جرت العادة أن تنسب المدرسة إلىٰ منشئها فيقال المدرسة الصالحية نسبة إلىٰ الملك الصالح نجم الدين أيوب، والمدرسة النظامية نسبة إلىٰ الوزير نظام الملك، والمدرسة المستنصرية نسبة إلىٰ الخليفة العباسي المنتصر بالله، والمدرسة النورية نسبة إلىٰ نور الدين محمود ... إلخ.

ونظرًا لأنه مؤسس المدرسة الصالحية فيجب إلقاء نظرة علىٰ تاريخه وسيرته والتعريف بشخصيته لتمام الحديث عن المدرسة ومؤسسها[1].

فالسلطان الملك الصالح هو "أيوب" بن السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن الأمير الكبير نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان[2]، ومن المرجح أنه ولد بالقاهرة في جمادىٰ الآخرة سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٥م، وذلك ما أجمعت عليه معظم المراجع العربية[3].

وقد اختلف المؤرخون في النظر إلىٰ صفات السلطان الصالح أيوب فذم بعضهم بعضها في حين نظر غيرهم إلىٰ ما ذموه منه نظرة الرضا، فقال بعضهم "كان الملك الصالح كثير التخيل والغضب والمؤاخذة علىٰ الذنب الصغير

---

١) ومن الجدير بالذكر هنا أن الصالح أيوب كان يميل إلىٰ تشييد العمائر والمباني، فلم تكن المدرسة الصالحية فقط هي من أولوياته، وإنما أقام بمصر مدينة عسكرية أطلق عليها اسم الصالحية وهي تقع علىٰ طرف الصحراء التي تفصل مصر عن الشام، وصارت مركزًا لحشد الجند، وشيد قصورًا عديدة لكن لم يتبق منها شئ.

٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص١٧٨، ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ص٧٧٥.

٣) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص٢١٥.

والمعاقبة علىٰ الوهم" وقيل أيضًا "كان ملكًا جبارًا متكبرًا شديد السطوة كثير التجبر والتعاظم علىٰ أصحابه وندمائه وخواصه"[1].

وذكر البعض أن الصالح أيوب "كان عنده حسن سياسة ومهابة عظيمة وسعة صدر وكانت همته عالية وآماله بعيدة، وكان لا يمكن القوي من الضعيف"[2].

وقال عنه ابن تغري بردي "وكان عفيف الذيل طاهر اللسان قليل الفحش في حالة غضبه، ينتقم بالفعل لا بالقول"[3].

ووصفه المؤرخ الكبير المقريزي بقوله: "وكان ملكًا شجاعًا مهيأ لشدة سطوته وفخامة ناموسه مع عزة النفس وعلو الهمة وكثرة الحياء والعفة"[4].

ومع الوقار والهيبة والميل إلىٰ العزلة اشتهر الصالح أيوب بحسن عقيدته، ومحبته لأهل العلم، دون أن يخالطهم[5].

وكان سياسيًا بارعًا، ولكنه لم يكن قائدًا ماهرًا، ولذا لم يتول قيادة جيوشه بنفسه، رغم أنه كان ذا طبيعة عسكرية جامدة، وكان لعزيمته القوية أثر كبير في تحقيق آماله فقد استطاع في الفترة القصيرة التي تولىٰ خلالها سلطنة الديار

---

١) علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج١، ص٢٥.

٢) ابن الوردي: تميمة المختصر، ج٢، ص١٧٨.

٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٣٥، ٢٣٦.

٤) المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٣٤٠، ٣٤١.

٥) وقد عزا رنسيمان جزءا من أخلاق الصالح أيوب كعبوسه وميله للعزلة بل وعدم شغفه بالعلم إلىٰ ما كان يجري في عروقه من دماء سودانية، فقد كانت أمه جارية سوداء تسمىٰ ورد المنىٰ، انظر: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٤٥٦.

المصرية من سنة (٦٣٧- ٦٤٧هـ/ ١٢٣٩- ١٢٤٩م) أن يعيد الوحدة للدولة الأيوبية[١].

وكان مما يؤخذ علىٰ الصالح أيوب أنه كان يميل إلىٰ العزلة ويرغب في الانفراد، ولو أن ذلك لم يمنعه من الاهتمام بشئون الرعية فاتخذ التدابير اللازمة لنشر الأمن والطمأنينة بين الناس بالقضاء علىٰ اللصوص والمفسدين ومثيري الفتن ومدمني الخمر والحشاشين[٢].

وقد نشأ الصالح أيوب في كنف والده الملك الكامل، الذي اشتهر بدبلوماسيته الرائعة وكثرة حروبه، مما أكسب الصالح خبرة واسعة في شئون الإدارة والسياسة والحرب.[٣]

وأما عن أسباب إنشاء المدرسة الصالحية والهدف من تأسيسها فيمكن القول إن قيام الدولة الأيوبية في مصر كان فاتحة عهد جديد في تاريخها من حيث تقدم الفنون والآداب وازدهار التعليم، إذ برز في عصر هذه الدولة عنصران من عناصر العمارة الإسلامية كان أولها: المدارس التي شيدت لنشر المذهب السني ومحاربة المذهب الشيعي، وتأتي المدرسة الصالحية في مقدمة تلك المدارس نظرًا لأنها أول مدرسة بالديار المصرية تدرس بها المذاهب الأربعة[٤].

---

١) محمد أمين: السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٦٨، ص٢٠٠.

٢) ابن إياس: بدائع الزهور ج١، ص٨٤.

٣) عن الملك الصالح نجم الدين أيوب.

٤) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية، ص٧، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م. وأحمد أحمد بدوي: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، ص٤٠.

وثانيهما: تطور بناء الأسوار والاستحكامات والقلاع بتأثر ما عرفه المسلمون عن الصليبيين في تشييدهم للقلاع الضخمة ببلاد الشام لتضم المحاربين وأتباعهم[1].

ومن الجدير بالذكر هنا الحديث عن الدوافع الشخصية في ظهور المدارس وبخاصة لأن المدارس تتعلق ببشر، فقد تسابق الناس في المجتمع الأيوبي وغيره من المجتمعات علىٰ بناء المدارس حيث شارك فيها السلاطين والملوك والأمراء والوزراء والولاة والتجار ... إلخ، وكل هؤلاء انطلقوا في عملهم من دوافع دينية في الأساس ولكن وراءها دوافع سياسية وشخصية يتحرك من خلالها بشر تحت وقع عوامل نفسية واجتماعية، فلقد وجدت هذه العناصر أن المساهمة في المشاريع الخيرية والتي منها المدارس إشباع لحاجات التقدير الاجتماعي وإرضاء للذات.

ومن هنا يمكن القول إن من أسباب إنشاء المدارس في العصر الأيوبي – ومن ضمنها المدرسة الصالحية- هو الاهتمام العام في ذلك العصر بالبناء والعمران، وكان صلاح الدين الأيوبي قد أنشأ المدارس بمصر لمحاربة التعليم الشيعي، وتعددت المدارس التي أنشأها بالقاهرة وغيرها من المدن الكبرىٰ[2].

وقد سار علىٰ منواله الأمراء وكبار رجال الدولة في إنشاء المدارس ووقف الأوقاف عليها مما أدىٰ إلىٰ قيام حركة فكرية واسعة خاصة، وأن سلاطين الأيوبيين بمصر شجعوا العلم وقربوا العلماء، وأوشك أن يكون كل واحد منهم إما شاعرًا أو فقيهًا أو محدثًا أو ذا تصانيف[3].

---

١) زكي محمد حسن: فنون الإسلام، ص٦٩.

٢) السيد الباز العريني: مصر في عصر الأيوبيين، ص٢٢١، القاهرة، ١٩٦٠م. وفيليب حتىٰ: تاريخ العرب، نج٢، ص٢٨٢، ط بيروت، ١٩٦١م. ومحمد فريد أبو حديد: صلاح الدين الأيوبي وعصره، ص١١٢.

٣) د. هبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية في مصر ، ص١٤٩. وانظر أيضا: د. محمد مصطفي ومجموعة من العلماء: تاريخ الحضارة المصرية- العصر الإسلامي، ق٢، ص٤٧٨، طبع وزارة الثقافة والإرشاد

ولكن العجيب في الأمر أن الملك الصالح أيوب الذي أنشأ أهم مدرسة في مصر في ذلك الوقت، وهي المدرسة الصالحية لم يكن يميل إلىٰ مطالعة الكتب فقد وصفه المؤرخون بأنه كان ذا طبيعة عسكرية بحتة لم تساعده علىٰ أن يكون ذا ميل شديد إلىٰ العلم، ومع ذلك لم تمنعه طبيعته العسكرية من تشجيع العلم والمتعلمين ولم تقتصر همته عن بناء المدارس[1].

ومن المنطقي تصور أن يتعجب الباحثون من شدة اهتمام الصالح نجم الدين أيوب بإتمام هذه المنشأة التعليمية (المدرسة الصالحية) وقالوا كيف ذلك وهو لا يميل إلىٰ مطالعة الكتب ويؤثر العزلة علىٰ مجالسة العلماء والطلاب رغم مجيئهم من بلاد بعيدة واكتفي فقط بإطلاق الجرايات[2].

ولعل ذلك يتفق مع ما أورده المؤرخ النويري من أن الصالح أيوب لما فرغ من عمارتها ندم لكونه لم يقم بناء جامع مكانها ويرتب فيه الدروس التي رتبها فيها[3] وعلىٰ الرغم من ذلك فقد وجدناه فيما يروي عن انتقال عز الدين بن عبد السلام[4] من الشام إلىٰ مصر أواخر سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) ما يعبر عن احترام الصالح أيوب للعلم والعلماء، فبمجرد أن اتصل عز الدين بن عبد السلام به ولاه

القومي. وعبد الوهاب حمودة: صفحات من تاريخ مصر، ص٩٨ مطبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة، سنة ١٩٦٥م.

١) محمد أمين : مرجع سابق، ص١٧٧. والعريني: مصر في عصر الأمويين، ص٢٢١. وعلي مبارك: الخطط التوفيقية، ج١، ص٧٧، ط القاهرة، سنة ١٩٨٠م، طبعة مصورة عن الطبعة الثانية بالقاهرة، سنة ١٩٦٩م.

٢) عبد الرحمن زكي: القاهرة، ص١٠٠.

- ومن الجدير بالذكر أن الصالح أيوب عندما طاف ببلاد الشام وارتحل من دمشق إلىٰ بعلبك ثم سار إلىٰ بصرىٰ تصدق علىٰ مدارسها، وهذا يؤكد اهتمامه بالعلم كما ذكر المؤرخ المقريزي: انظر: السلوك، ج١، ق٢، ص٣٢٦.

٣) النويري: نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٨١.

٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٣٥.

قضاء مصر وخطابة جامع عمرو بن العاص، وعلىٰ الرغم من وقوع الوحشة بينهما والتي أدت إلىٰ عزل الصالح أيوب للشيخ العز من هاتين المهمتين في سنة (٦٤٠هـ/ ١٢١٢م) إلا أنه بمجرد أن اكتمل بناء المدرسة الصالحية في سنة (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م) وجدنا الصالح أيوب قد أسند مهمة التدريس بالقاعة الشافعية إلىٰ عز الدين هذا والتي بقىٰ فيها إلىٰ حين وفاته سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)[١].

ويأتي إنشاء المدرسة الصالحية أيضًا في إطار اهتمام الصالح أيوب بفن العمارة، فمن أهم العمائر التي أقامها قلعة الجزيرة (الروضة) ومدينة الصالحية، وإقامة القناطر مثل قنطرة السد[٢] ومناظر الكبش[٣] وغير ذلك[٤].

وكان من محاسن الصالح أيوب في مجال المدارس هو بناء المدرسة الصالحية بخط بين القصرين بالقاهرة، وهي تشهد بعظمة فن العمارة المصرية في عهده، ولاشك أن السلطان الصالح أيوب كان مولعًا بالعمارة إلىٰ درجة كبيرة وكان من نتيجة ولعه هذا أنه – علىٰ حد قول المقريزي- "عمر بمصر ما لم يعمره أحد من ملوك بني أيوب"[٥].

---

١) السلامي: تاريخ علماء بغداد، ص١ – ٤، السبكي: طبقات الشافعية الكبرىٰ، ج٨، ص٢٠٩، والعيني: عقد الجمان، ص٣٣٩، وابن حجر العسقلاني: رفع الأثر عن قضاة مصر، ج١، ص٣٥٣، ورضوان علي: العز بن عبد السلام، ص٤٧ – ٤٨. وعلي محمد الفقير: العز بن عبد السلام وأثره في الفقه الإسلامي، ج١، ص٣٥ – ٣٧ رسالة دكتوراه – كلية الشريعة والقانون بالأزهر.

٢) قنطرة السد: أقامها الصالح أيوب علىٰ الخليج المجاور لبستان الخشاب في أوائل سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م انظر القلقشندي: صبح الأعشىٰ، ج٣، ص٣٧٨، والمقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١١٨.

٣) مناظر الكبش: أنشأ الصالح أيوب سنة ٦٤٢هـ تقريبا قصرًا علىٰ جبل يشكر بجوار الجامع الطولوني قصرًا عظيمًا سماه الكبش وجعله يشرف علىٰ البركة التي عرفت ببركة قارون وقد تأنق في بنائه انظر: المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٣٣، والقلقشندي: صبح الأعشىٰ، ج٣، ص٣٧٧.

٤) د. وفاء محمد علي: دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية، ص١٨٥، دار الفكر العربي، ١٩٧٧م.

٥) المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٢٤١، الذهبي: دول الإسلام، ج٢، ص١٣٤.

وإذا كان صحيحًا ما قيل عن الصالح أيوب من أنه كان يؤثر العزلة، أنه ذا طبيعة عسكرية، إلا أن ذلك لم يمنعه من تشجيع العلم والعلماء، وقد اشتهر بذلك، ومن أهم آثاره في هذا المجال كان إنشاء أهم مؤسسة تعليمية في مصر وهي المدرسة الصالحية سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م[١].

وتشير بعض الروايات التاريخية أن الصالح أيوب أنشأ هذه المدرسة لتكون أول مدرسة بالديار المصرية تدرس بها المذاهب الأربعة علىٰ نمط المدرسة المستنصرية ببغداد، والتي تعد أول مدرسة في الدولة الإسلامية تدرس المذاهب الأربعة، ومما لاشك فيه أن المدرسة المستنصرية كانت أعظم جامعة إسلامية ببغداد في أواخر الدولة العباسية، وقد عنيت بدراسة علوم القرآن والسنة النبوية والمذاهب الفقهية وعلوم العربية والرياضيات وعلم الطب وغير ذلك[٢].

كما أنها أول جامعة إسلامية جمعت فيها الدراسات الفقهية علىٰ المذاهب الإسلامية الأربعة في بناية واحدة[٣].

وكان الخليفة العباسي المستنصر (٦٢٣- ٦٤٠هـ/ ١٢٢٦- ١٢٤٢م) أول من ابتكر فكرة جمع المذاهب الفقهية الأربعة في بناية واحدة، كما أشارت إلىٰ ذلك جميع المراجع العربية[٤].

---

١) محمد عبد العزيز مرزوق: الفن الإسلامي في العصر الأيوبي، ص٨٠- ٨٥، سلسلة كتب ثقافية، القاهرة، د. ت.

٢) د. عفاف صبره: مرجع سابق، ص١٧٤. وعلي مبارك: الخطط التوفيقية، ج١، ص٧٧.

٣) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية، ص٧.

٤) المرجع السابق، ص٢.

عن المدرسة المستنصرية راجع: ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٦٦، النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص١١، المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص٢٥٨، ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٢٨٤، السيوطي: المحاضرة، ج٢، ص١٣٨، وابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٧٩.

ولما فتح المستنصر مدرسته المذكورة لتدريس الفقه علىٰ المذاهب الأربعة ولتدريس التفسير وعلوم القرآن والحديث والطب والعربية والرياضيات ... إلخ في بناية واحدة لأول مرة في التاريخ الإسلامي، شرع الناس في تقليده والائتمام به، وغدت المدرسة المستنصرية قدوة لمؤسسي المدارس من الرجال والنساء، حيث شرعوا يبنون مدارسهم علىٰ صفتها من حيث دراسة المذاهب الأربعة، وربما بنوها علىٰ غرارها أيضًا من حيث هندسة البناء[1] واحتواؤها علىٰ أربعة أواوين للمدرسين الأربعة أو علىٰ دروس للطب والتفسير والحديث ..إلخ[2].

ولم يمض علىٰ افتتاح المستنصرية هذه عشر سنوات حتىٰ فتحت بمصر أول مدرسة للمذاهب الأربعة سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م وهي المدرسة الصالحية التي أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بالقاهرة[3].

وفي بغداد شرعت حظية المستعصم المعروفة بـ (باب بشير) سنة ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م في بناء مدرسة البشيرية بالجانب الغربي من بغداد، وجعلها وقفًا علىٰ المذاهب الأربعة علىٰ قاعدة المدرسة المستنصرية[4].

وفي القاهرة أنشأ الملك الظاهر بيبرس المدرسة الظاهرية بمصر للطوائف الأربع، كل طائفة في إيوان فيها دروسًا للحديث والقرآن[5] وفي أواخر القرن السابع

---

١) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية، ص٧.

٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص٢٥٠، محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك، ج٣، ص٥٣، ٧١.

٣) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية، ص٧، ط١، سنة ١٩٥٩م.

٤) المقريزي: السلوك، ج١، ص٣٦٢، وباب بشير: حظية المستعصم وأم ولده، وفي كتاب السلوك للمقريزي مصطلحات خاصة كان يكني بها نساء الخلفاء أو بناتهم كقولهم: باب جوهر (بنت المستعصم) وباب عنتر (بنت المستنصر) والجهة أو الجهة الصالحة والستر الرفيع والحجاب المنيع... إلخ انظر المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

٥) المقريزي: السلوك، ج٤، ص٢١٧.

الهجري أنشأ الملك المنصور بن قلاوون الألفي المدرسة المنصورية، ورتب فيها دروسًا أربعة لطوائف الفقهاء الأربعة ودروسًا للطب[1].

وفي سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م أتم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون المدرسة الناصرية بمصر، وجعل فيها أربعة أواوين للمذاهب الأربعة[2] وقد ذكر أحد المؤرخين المحدثين أن الاختلاف بين المدرستين الصالحية والمستنصرية أن المدرسة الصالحية كانت تشتمل علىٰ أربعة أواوين كل إيوان منها خاص لطلبة مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة[3].

- والمدرسة الظاهرية:بناها الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م بين القصرين وسميت بالمدرسة الظاهرية القديمة تميزًا لها عن المدرسة الظاهرية التي أنشأها الظاهر برقوق في عام ٦٨٦هـ/ ١٣٨٤م، وقد عنىٰ الظاهر بيبرس بها فأوقف عليها أوقافًا كثيرة وألحق بها خزانة كتب جليلة وقد تصدىٰ للتدريس في هذه المدرسة العديد من العلماء، انظر السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٣٣٦- ٣٤٤. مناهل فخر الدين فليح: التعليم في ظل دولة المماليك، مجلة الآداب الرافدين، عدد ١٠، جامعة الموصل، سنة ١٩٧٩م، ص٣٩١. ومحمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك، ج٣، ص٤٠.

١) المقريزي: السلوك، ج٤، ص٢١٨، ٢١٩.

- والمدرسة المنصورية: نقع بين القصرين بالقرب من الجامع والمارستان المنصوري وقد عنىٰ الملك المنصور بن قلاوون باختيار مدرسيها بعناية تامة وزودها بخزانة كتب انظر: علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج٢، ص٨٩، السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٢٤١. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص١٣٠. ابن العماد: شذرات الذهب، ج٧، ص٣٢١. محمود رزق سليم: مرجع سابق، ج٣، ص٤٢، ٤٢.

٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٧٩، المقريزي: السلوك، ج٤، ص٢٢٢.

- والمدرسة الناصرية: تقع بين القصرين شرق القبة المنصورية، وقد بدأ في بنائها الملك العادل زين الدين كتبغا ثم خلع قبل إتمامها وتولىٰ مكانه الناصر محمد بن قلاوون فأكمل بناءها وهذه المدرسة غير المدرسة الناصرية التي أنشأها الناصر صلاح الدين الأيوبي بجوار الجامع العتيق سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م.
انظر الإسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص١٦، السخاوي: الضوء اللامع ج١، ص٣٣٦. محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ج٤، ص١٨٠- ١٨٥. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٢٠٨، القلقشندي: صبح الأعشىٰ، ج٣، ص٤١٥. المقريزي: الخطط، ج٢ ص٣٨٢. ابن حجر: رفع الإصر، ج١ ص ٨١.

٣) عبد الغني عبد العاطي: التعليم في مصر، ص٨٤.

وعند الحديث عن **بناء المدرسة الصالحية وتخطيطها العمراني**، فيمكن القول إن الملك الصالح نجم الدين أيوب قد بدأ في بناء المدرسة الصالحية في الثالث عشر من ذي الحجة سنة ٦٣٩هـ الموافق الرابع عشر من يونية سنة ١٢٤١م، وذلك علىٰ جزء كبير من جملة القصر الشرقي الفاطمي الكبير الذي تقترب مساحته من ستة آلاف متر مربع[١] وقد انتهىٰ من بنائها في سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م[٢].

وكان تخطيط المدرسة يتكون من مدرستين متماثلتين لهما مدخل واحد وواجهة مشتركة، وكان المدخل يؤدي إلىٰ ممر فتح علىٰ جانبيه بابان متقابلان يؤدي الشرقي إلىٰ إيواني المذهبين المالكي والشافعي، والغربي إلىٰ إيواني المذهبين الحنبلي والحنفي. وهكذا اشتمل كل جانب علىٰ مدرسة مستقلة تتكون من إيوانين متقابلين بينهما فناء مكشوف، ويمكن اعتبار هذا التصميم مرحلة انتقال إلىٰ تصميم المدرسة ذات الإيوانات الأربعة المحورية التي ظهرت بعد ذلك في العصر المملوكي[٣].

وبذلك تكون المدرسة الصالحية هي أول مدرسة بمصر بها دور للمذاهب الأربعة، فكان بالمدرسة أربعة أواوين لكل طائفة إيوان خاص بها[٤].

---

١) وهي علىٰ يمنة الطالب بين القصرين وباب القصر والخانقاة وخان برجوان والطرق المتفرقة.

٢) ابن دقماق: الجوهر الثمين، ج٢، ص٣٧.
والمقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٧٤.
وابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٣٣٨.

٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٠٧.
والقلقشندي: صبح الأعشىٰ، ج٣، ص٣٥٢.
Crewell, K, A, C. Muslim Architecture of Egypt (Vol 11-) Oxford, 1960, p. 123, 124.

٤) المقريزي: السلوك، ج١ ق٢، ص٣٠٥. أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، ج٢، ص١١٨.
وعبد الغني عبد العاطي: التعليم في مصر، ص٨٤.

ومن المنطقي تصور إطلاق أسماء متعددة علىٰ تلك المنشأة وهذا ما يلاحظ في روايات المؤرخين حيث أنهم أطلقوا عليها اسم المدرسة الصالحية وتارة أخرىٰ يطلقون عليها اسم المدرستين الصالحيتين، وأطلق عليها كذلك اسم (المدارس الصالحية) ويبدو واضحًا أن هذه المدرسة كانت من الناحية المعمارية وحدة واحدة من الخارج، فجاز أن يطلق عليها اسم (مدرسة) ولما كان التصميم الداخلي لهذه المنشأة مقسمًا إلىٰ قسمين كما ذكرت سابقًا، فجاز أن يطلق عليها اسم (مدرستين). وأما إطلاق كلمة (مدارس) فهذا يرجع إلىٰ الأربعة مواضع التي خصصت للتدريس، وهذه التسمية الأخيرة هي التي وجدت علىٰ الواجهة الرئيسية لهذه المؤسسة، والتي تقرأ عليها بخط النسخ ما نصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم" أمر بإنشاء هذه (المدارس المباركة) مولانا السلطان الأعظم الملك الصالح نجم الدين والدنيا أبو الفتح أيوب خليل أمير المؤمنين أعزه الله ونصره في سنة (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)[١].

وقد قامت شجر الدر[٢] زوجة السلطان الصالح نجم الدين بإضافة ضريح دفن فيه عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، وتكون بذلك مجمعًا معماريًا في قلب القاهرة الفاطمية، وهو نهج جديد وأسلوب معماري متكامل اتبعه السلاطين المماليك بعد ذلك في إنشاء مجتمعاتهم المطلة علىٰ شارع المعز الذي شكل القصبة

---

١) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ص٨٥.

وأحمد محمود: الدليل الموجز، أهم الآثار الإسلامية والقبطية، ط١، القاهرة ، ١٩٩١م، ص١٩٩٨، حسين أمين: المدرسة المستنصرية، مطبعة شفيق، القاهرة، ١٩٦٠، ص١٢٢.

٢) شجر الدر: المصادر المعاصرة وشبه المعاصرة تذكر الاسم كما ورد هنا في المتن (شجر الدر) أما المراجع المتأخرة فتذكره بصيغة (شجرة الدر) ومن الواضح أن تسمية المعاصرين وأشباههم هي الأصح، وقد أيد المؤرخون الأوربيون صحة تسميتها بشجر الدر أمثال: دائرة المعارف الإسلامية ولين بول وجاستون فييت وكنج، وغيرهم انظر: د. أحمد مختار العبادي: قيام دولة المماليك الأولىٰ في مصر والشام، ص١٠٥، حاشية (١) مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٩٨٨م.

الرئيسية لمدينة القاهرة مثل مجمع قلاوون[1] ، إلا أن المدرسة الصالحية كانت تشتمل علىٰ مدرسة وضريح فقط قبل تطور نظام المجتمعات في العصر المملوكي[2].

وذكرت المراجع التاريخية مثل خطط المقريزي وغير ذلك أن عدد المدارس في القاهرة في العصر الأيوبي كان (٢٤) مدرسة غير أن هذه المدارس اندثرت جميعها، ولم يتبق منها غير بقايا مدرستين هما المدرسة الكاملية (التي بنيت عام ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) والمدرسة الصالحية التي اندثرت أغلب أبنيتها ولم يتبق إلا جزء من إيوانها[3] الغربي المجاور لضريح المنشئ وواجهتها ومدخلها ومدفنها[4].

وقد بنيت الواجهة الرئيسية للمدرسة من حجارة مصقولة رصت بعناية فائقة وهي تنقسم إلىٰ ثلاثة أجزاء رئيسية: الجزء الأوسط، ويشمل المدخل وجوانبه – يبلغ طوله ١٨م، والجزء الأيمن وطوله ٣١م، والجزء الأيسر وطوله ٢٦م، ويبلغ ارتفاع الجزء الأوسط ١٢م، أما الجزءان الأيمن والأيسر فارتفاعهما حوالي ١١.٥م، ويشمل الجزء الأوسط (المدخل) علىٰ شريط كتابي أفقي منقوش بخط النسخ يحمل اسم المنشئ ودعاء له- كما ذكرت سابقًا- ويتوسط هذا الجزء

---

١) مجمع قلاوون: المقصود به، مجمع المنصور قلاوون.

٢) د عاصم محمد رزق: أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٢م ص ٨١، ٨٢. ود سعاد ماهي: مساجد مصر وأولياء الصالحين دار الكتاب الصالحين، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٩٧١م، ج٢ ص ٢٣٤.

٣) من الجدير بالذكر أن الأواوين في مصر خلال العصر الأيوبي تميزت بوضوح الإيوان، بمعنىٰ إطلاله علىٰ الفناء المكشوف أو الصحن بكل حجمه وارتفاعه واتساعه، وقد استمر هذا الحال أيضا في العصر المملوكي انظر:

د. حسن الباشا: دراسة جديدة في نشأة الطراز المعماري للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد، مجلة كلية الآثار، القاهرة، العدد ٣، سنة ١٩٨٩م، ص٤٩.

٤) المقريزي: ج٢، ص٣٨٢.

فتحة الباب الذي يعلوه عتب يتكون من صنج معشقة، ويتوج المدخل حنية معقودة زخرف بخمسة صفوف من المقرنصات[1].

وللمدرسة مئذنة ترتفع فوق كتلة المدخل الذي يمثل اليوم المدخل المؤدي إلىٰ حارة الصالحية التي كانت أصلاً الممر الرئيسي الفاصل بين جناحي المدرسة المتطابقين وتعد هذه المئذنة هي الوحيدة التي بقيت سليمة من مآذن العصر الأيوبي، وقد رممت عام ١٩٩٥م، والمئذنة مبنية من الطوب المغطىٰ بالبياض، وتتكون من ثلاثة أجزاء يتكون الجزء الأسفل من بدن رئيسي مقطع ومربع طول ضلعه ٥م وارتفاعه ١٠.٤٠م ومزخرف بثلاث كوات معقودة، ويعلوه مثمن يصل ارتفاعه إلىٰ ٥م، ويشتمل علىٰ ثمانية أبواب مزخرفة بعقود مفصصة تفتح علىٰ شرفة خشبية مثمنة الشكل يؤذن منها ويتوج المئذنة أعلىٰ المثمن صفان من المقرنصات يعلوهما قبة مفصصة، وعرف هذا النوع من المآذن بالمبخرة، وذلك بسبب شكل الجزء المثمن المميز والقبة التي تعلوه الذي يشبه المباخر المعدنية الأيوبية، وقد استمر هذا النمط من المآذن في بداية العصر المملوكي، كما يظهر في مئذنة خانقاه بيبرس الجاشنكير التي ترجع إلىٰ عام ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م، وتطور هذا النمط من المآذن في الفترات اللاحقة من العصر المملوكي، فزاد الطابق المثمن في الارتفاع وأصبح عنصرًا رئيسيًا للمئذنة[2].

وأشار الدكتور أحمد فكري في كتابه (مساجد القاهرة ومدارسها) إلىٰ أن عناصر المدرسة في فترة العصر الأيوبي (ومنها المدرسة الصالحية) قد اشتركت مع غيرها من المدارس خارج مصر في أربعة عناصر رئيسية هي، أولاً: وضوح بيت الصلاة بها حيث هو أكثر القاعات (الأواوين) أهمية واتساعًا. والعنصر

---

١) السيد الباز العريني: مصر في عصر الأيوبيين، ص٢٢٣، مطبعة الكيلاني، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢) د. سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، ص١٤٣، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠م.

الثاني، هو البهو أو الفناء المكشوف. والثالث يتمثل في بيوت الطلاب بالمدارس وهو عبارة عن غرف صغيرة الحجم. أما العنصر الرابع فيتمثل في الوحدات الثانوية الأخرىٰ المطلوبة في المدرسة، كخزانات الكتب وقاعات الدروس وتناول الطعام وغير ذلك، كما أن بعض المدارس كانت تضم أجنحة[1].

ويذكر المؤرخ المقريزي أن الملك الصالح أيوب استخدم عددًا كبيرًا من أسرىٰ الفرنج في تشييد عمائر المدرسة[2]. ومن الواضح أن بناء هذه المدرسة كان عملاً فخمًا، وقد حاول الصالح نجم الدين أيوب أن يوفر له كل ما يسمح بإتمامه في وقت قياسي[3]، ومن ذلك ما ذكره المؤرخ المقريزي في حوادث سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م عندما تحدث عن الحروب الصليبية، وذكر أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب أسر كثيرًا من الفرنجة، وأنه سخرهم في بناء قلعة الروضة[4] وبناء المدرسة الصالحية.

---

١) د. أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، ج٢، ص١١٨ - ١٢١.

٢) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٧٤.

٣) د. سعيد عاشور: مرجع سابق، ص١٤٣، ١٤٤.

٤) قلعة الروضة: وتعرف أيضًا بجزيرة الروضة نسبة إلىٰ البستان الذي أنشأه في طرفها البحري الأفضل بن شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الحمالي في سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م وسماه بالروضة، وقد بدأ الصالح أيوب في بنائها سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤١م، وأشرف بنفسه علىٰ بنائها وتم بنائها في ثلاث سنوات انتقل بعدها الصالح أيوب إليها واتخذها دار ملك وسكن فيها بأهله وأسكن فيها مماليكه، انظر: المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٩١، د.محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي، القاهرة ـ دار الأوقاف العربية ١٩٩٩م، ص ٦٦ـ ٧٠.
المقريزي: السلوك، ج١، ص٣٠١، ٣٠٤.
والخطط، ج٢، ص١٨٣.
والسيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٠٢.
عبد الرحمن زكي: القاهرة، ص٩٩.
علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج١٨، ص٩.

وذكر أحد المؤرخين المحدثين أن المدرسة الصالحية اتسمت بعمارة فائقة تشير إلىٰ روعة العمارة الإسلامية وخلودها وتقف أطلالها تخلد اسم من شيدها في قلب القاهرة الفاطمية[1] وأن ما تبقىٰ منها الآن أصبح عبارة عن وكالة الجواهرجية، وبعض الدكاكين التجارية الأخرىٰ، فضلاً عن الواجهة المطلة علىٰ شارع بين القصرين التي تعلوها مئذنتها، إلا أن ما يحجب هذه الواجهة الأثرية الجميلة الحافلة بالزخارف والكتابات سبيل خسرو باشا وما يجاوره من دكاكين في شارع بين القصرين[2].

والمدرسة الصالحية ليست وحدها التي اندثرت من العصر الأيوبي، فهناك العديد من المدارس التي انهارت بفعل الزمن، وقد نقل الباب الخشبي لهذه المدرسة إلىٰ المتحف الإسلامي بالقاهرة[3]. أما موضع المدرسة نفسه فقد اغتصبه الأهالي، اغتصبوا أرض الصحن ولم يتركوا منها سوىٰ طريق ضيق تجاه الباب العمومي من الداخل، يعرف اليوم بحارة الصالحية، كما اغتصبوا مدرستي الحنابلة والحنفية بأكملها، ولم يتبق اليوم من الواجهة الغربية إلا إيوان المدرسة المالكية[4] وبقايا إيوان المدرسة الشافعية بمحاريبه[5].

وهكذا لم يتبق من المدرسة الصالحية نتيجة لهجمات الزمن وتعدياته سوىٰ الإيوان الشمالي الغربي، وكذلك جزء من واجهتها الرئيسية بما يقدر بنحو

---

١) شحاته عيسىٰ إبراهيم: القاهرة، ص١١٨.

2) Devon shire (Mrs. R. L): some Cairo Mosques and their founders. P. 12, 13 (London , 1921).

٣) وهو ما يعمل مشروع تطوير القاهرة التاريخية علىٰ ترميمه في محاولة للحفاظ علىٰ أطلال المدرسة التي بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب.

٤) محمد أمين: السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، ص١٨٩.

5) Creswell (K. C): the Muslim architecture of Egypt, vol. 11, p. 94.

٧٠مترًا، وظلت المدرسة تعاني من الإهمال قبل أن تقع تحت إشراف لجنة متابعة الآثار العربية.

ومن المنطقي القول إن تخطيط المدرسة الصالحية يعد غاية في الأهمية رغم اندثار معظم أجزاء عمارتها، وتزداد أهمية هذه المدرسة في أنها أمدتنا بالتخطيط المعماري للمدارس بعامة خلال العصر الأموي، فضلاً عن طريقة البناء وزخرفته كما أن أهميتها الأخرىٰ تتضح في عملية التدريس ووقفها علىٰ المذاهب الدينية المختلفة.

وأما عن **منشآت المدرسة الصالحية**، فقد اهتم سلاطين الدولة الأيوبية جميعهم بالمنشآت الرئيسية في المؤسسات التعليمية من قاعات للدرس ومساكن للطلبة والمدرسين ومكتبات ملحقة بها، لتسهل علىٰ الدارسين البحث والدرس، وبيت للصلاة ، والمارستان، والحمامات وغير ذلك[1].

أما بالنسبة لقاعات الدرس فقد حرص المؤسسون للمدارس علىٰ أن تكون القاعات مناسبة لعدد الطلاب الملحقين بأي مدرسة، وقد اشتملت المدرسة الصالحية علىٰ قاعات متعددة نظرًا لضخامتها لأنها أوقفت علىٰ أربعة مذاهب[2].

واهتم المؤسسون للمدارس في العصر الأيوبي بيناء مساكن ودور للطلبة والمدرسين، ومثال ذلك الدار التي خصصت للعز بن عبد السلام بالمدرسة الصالحية()، ومن الملاحظ أن تلك الدور كان لها دور كبير في استقرار أحوال

---

١) من الجدير بالذكر هنا أن صلاح الدين الأيوبي جعل بالمدرسة القمحية أربعة قاعات للدرس، بحيث يكون لكل قاعة منها مدرس، وذلك علىٰ الرغم من أن المدرسة أوقفت علىٰ مذهب واحد وهو المذهب المالكي، وهذا يدل علىٰ أن قاعات الدرس روعي فيها أن تكون مناسبة لعدد الطلبة المقررين بها لتحقيق الغرض الذي تم إنشاء المدرسة من أجله.

٢) الداوودي: طبقات المفسرين، ط١، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص٣١٨.

المدرسين إلىٰ الحد الذي أصبح وجوده من أهم الأسباب أو الدوافع وراء حرص هؤلاء المدرسين علىٰ البقاء بوظائفهم داخل تلك المدارس[1].

وقد لعبت تلك الدور والمساكن دورًا مهمًا في تحسين العلاقات بين المدرسين والطلبة .

ومن الناحية الصحية اهتم المؤسسون للمدارس الأيوبية بالطلبة والمدرسين فأنشأوا المارستانات وألحقوها بالمدارس[2]، ويقع البيمارستان الخاص بالمدرسة الصالحية في خلف المبنىٰ.

واهتموا كذلك ببناء بيت صلاة بالمدرسة، لكي لا يحتاج الدارسون إلىٰ الخروج خارجها في أوقات الصلاة، كما أنهم اقتبسوا من دور العلم فكرة إلحاق مكتبات بها لتسهل علىٰ الدارسين البحث والدرس، وكانت المكتبات من الأمور المهمة لذلك أكثر المؤسسون للمدارس من إيقاف الكتب عليها، وأعدوا لها البناء المناسب، وأقاموا العناصر البشرية المشرفة عليها خزان ومشرفين ونظار ومناولين وكثرة الخزائن ودور الكتب مؤشر مهم علىٰ تلك المكانة التي تتمتع بها الكتاب في ذلك العصر، وعلىٰ مدىٰ عناية المسلمين بالعلم ورعاية العلم والمتعلمين، ومثال ذلك، المكتبة التي ألحقها القاضي الفاضل بمدرسته[3].

وأقيمت أيضًا الحمامات بالمدارس لكي يستخدمها المقيمون في المدرسة[4]، وأما المعدات المدرسية فيبدو أن الطلبة كانوا يجلسون علىٰ الحصر وعلىٰ شكل حلقة، ويملي عليهم الأستاذ المعلومات فينسخ الطلاب ذلك، ويلاحظ في ذلك

---

١) أحمد عبد الحميد: المدارس الإسلامية في مصر، ص١٥٨.

٢) أبحاث ندوة "المدارس في مصر الإسلامية" سنة ١٩٩١م، بالقاهرة، أعدها للنشر، د. عبد العظيم رمضان، ص٢٥١.

٣) السيد النشار: تاريخ المكتبات في مصر في العصر المملوكي، الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة، سنة ١٩٩٣م، ص٦٩.

٤) أحمد عبد الحميد: المدارس الإسلامية، ص١٦١.

تغلغل روح الإسلام في كل مظهر من مظاهر تنظيم المدرسة فمن الناحية المعمارية اضطلعت المدرسة برسالة المسجد من إقامة الصلاة في أوقاتها الخمسة، إلىٰ جانب صلاة الجمعة، وكانت مركزًا لإصدار الفتاوىٰ وتفقيه الناس والقيام بالوعظ والإرشاد مما دفع القائمين علىٰ تنظيمها وإعداد منشأتها أن يصمموا بناءها بالشكل الذي يتناسب مع أداء هذه الوظائف.

والمدرسة الصالحية مدرسة سلطانية فقد اهتمت الأسرة الأيوبية اهتمامًا كبيرًا بالمؤسسات التعليمية، وأسهمت في إحياء حركة مدرسية كبيرة بمصر. وعلىٰ الرغم من كثرة عدد المدارس في ذلك العصر، وفي العصور الإسلامية السابقة، إلا أنه لم تكن هناك سياسة معينة تسير وفقها هذه المدارس، فليس هناك ما يدل علىٰ تنظيماتها المالية والإدارية، كما أن المصادر والمراجع التاريخية لم تشر إلىٰ ذلك، ومن هنا يمكن القول إن حجج الوقف والحبوس التي حبست علىٰ تلك المدارس، (ومنها المدرسة الصالحية)، كانت بمثابة الدستور الذي نظم الحياة بتلك المعاهد الدراسية[1].

ولكن الملاحظ خلال هذا العصر تنوع المدارس ما بين مدارس حكومية وما بين مدارس أهلية خاصة، أما المدارس الحكومية فهي التي أنشأها سلاطين البيت الأيوبي، وكان أول ما يميزها عن غيرها هو أن أماكن إنشائها كان مختارًا بعناية[2] بحيث تضمن ذلك لها البقاء والاستمرار.

---

1) **Stanley lane poole: Saladia and the Fall of the kingdom of Jerusalem, Beirut, 1964, p. 108.**

- ويلاحظ في ذلك أن الاهتمام من جانب ملوك الدولة الأيوبية بإنشاء المدارس كان في الوقت نفسه دعوة للوزراء والأمراء والعلماء والتجار وغير هؤلاء من القادرين للإكثار من إنشاء المدارس وكان المقصود بذلك هو محاكاة الملوك في ذلك وفي أوقافهم علىٰ المدارس أيضًا، راجع: أحمد عبد الحميد خفاجىٰ: ص٢٥.

٢) أيمن شاهين: مرجع سابق، ص١٣١.

فإما أن تكون موضعًا بجوار جامع له من الشهرة والمكانة الواسعة كالمدرسة الناصرية الأولىٰ والمدرسة القمحية اللتان أنشأهما صلاح الدين بجوار الجامع العتيق، أو بجوار أحد المشاهد العامة كالمشهد الحسيني ومشهد الإمام الشافعي، وإما أن تكون جزءًا من جملة القصر الفاطمي وبالمواضع العامرة كخط بين القصرين وبالأسواق الكبيرة[1].

وتأتي المدرسة الصالحية في مقدمة المدارس الحكومية السلطانية التي تميزت بموقع مهم في قلب القاهرة الفاطمية، وعلىٰ جزء من المساحة التي كان يشغلها القصر الفاطمي الكبير بشارع المعز لدين الله الفاطمي الذي عرف بطريق مواكب الفاطميين الشيعة (بين القصرين)[2].

وقد تميزت المدارس السلطانية، باتساع بنائها وعظم تأسيسها، وكانت أول مدرسة حكومية في ذلك العصر هي المدرسة الكاملية[3]، والتي ذكر المؤرخ ابن إياس أن البناء فيها قد استمر طوال سبع سنوات حتىٰ تمت في سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م[4].

---

١) ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، ت مصطفي السقا، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٩٦٩م، ص١٩٠.

٢) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٣٣٥، ط القاهرة، ١٩٩٢م.

٣) المدرسة الكاملية: بناها الملك الكامل الأيوبي في حدود سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م، لتدريس علم الحديث، وما يلحق بذلك من علوم، وقد جعل بها دروسًا في الفقه، وهي ثاني دار عملت للحديث لأن الدار الأولىٰ للحديث هي التي بناها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق. وهذه المدرسة تهدم معظمها فيما بعد، وقد قام علماء الآثار بدراسة حول بقايا المدرسة الكاملية التي تقع بشارع المعز بالقاهرة، انظر: ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ص٨٦/ ١، القلقشندي: صبح الأعشىٰ، ج٣، ص٤١٥، سعاد ماهر: مساجد مصر، ج٢، ص٢٠٦.

Lane-poole, Op. Cit, p. 230, Creswell , K, A, Op. Cit, p80.

٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٦٤.

أما المدرسة الصالحية فكانت آخر المدارس السلطانية التي ينطبق عليها نفس الشيء، فقد استمر البناء بها سنتين (٦٣٩- ٦٤١هـ/ ١٢٤١- ١٢٤٣م)[١].

وإلىٰ جانب المدارس الحكومية كانت توجد مدارس خاصة أهلية، ولكنها كانت في مرتبة أقل من المدارس الحكومية من ناحية الاتساع، حيث إن إمكانيات الأفراد أقل من إمكانيات الحكومة الأيوبية. وأول ما يمكن الإشارة إليه في ذلك الصدد أن مدارس الوزراء والأمراء جاءت مشابهة إلىٰ حد كبير لمدارس الملوك والسلاطين مثل المدرسة التقوية[٢]. التي اشترط مؤسسها تقي الدين عمر موضعها من بيت المال، وأما بقية الطوائف فقد سارعوا إلىٰ محاكاة ساداتهم فكانوا يبذلون كل ما هو غال ورخيص، ومثال ذلك شمس الخواص مسرور الذي أوصىٰ ببناء مدرسة من ثمن ضيعة له بالشام[٣].

وأما عن **المواد الدراسية التي كانت تدرس بالمدرسة الصالحية**، وطرق التدريس بها، فيمكن القول إن المواد التدريسية في المدرسة الصالحية وغيرها من مدارس العصر الأيوبي في ذلك الوقت قد تنوعت، ومن الملاحظ أن العلوم الشرعية بكافة أنواعها من فقه وحديث وعلوم القرآن قد احتلت مكان الصدارة في

---

١) النويري: نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٨١.

٢) المدرسة التقوية: من أشهر مدارس الشافعية التي أسست بمصر في العصر الأيوبي وهي نسبة إلىٰ واقفها تقي الدين عمر بن شاهنشاه، المتوفي سنة ٥٨٧هـ، وهو ابن أخي صلاح الدين الأيوبي، انظر: ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٣٦٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٨٦، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، مطبعة جمعية المعارف، القاهرة، ١٨٦٨م، ج٢، ص٧٩، المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٦٤، عبد الرحيم غنيمة: تاريخ الجامعات الإسلامية، ص٨٨.

٣) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٧٨.

التدريس، وذلك لارتباطها الوثيق بالدين من ناحية وبالدولة وحياة الناس من ناحية أخرىٰ[1].

وقد بلغ من أهميتها أن كانت تسمىٰ وحدها "بالعلم"، وفي ذلك يقول الشيخ مصطفي عبد الرازق: "استعمل لفظ العلم للدلالة علىٰ استنباط الأحكام الشرعية بالنظر العقلي فيما لم يرد فيه نص كتاب ولا سنة، وسمىٰ أهل هذا الشأن الفقهاء، فإذا جمع امرؤ بين الصفتين جمع له اللفظان، أو ما يراد منهما"[2].

ونظرًا لتنوع المدارس في مصر خلال العصر الأيوبي، فقد تنوعت معها المواد الدراسية، فكان منها ما هو خاص بتدريس الحديث مثل دار الحديث الكاملية، ومنها ما هو خاص بتدريس الفقه، وتخصص معظمها لتدريس مذهب واحد، وكانت معظم المدارس في مصر لتدريس المذهب الشافعي، ثم المالكي، ثم الحنفي، ولا يوجد في هذه الفترة تدريس للمذهب الحنبلي إلا في المدرسة الصالحية[3]، وقليل من المدارس جمع بين المذهبين حتىٰ عهد الصالح أيوب عندما تخصص الصالحية في المذاهب الأربعة.

ومما لاشك فيه أن تلك المدرسة أتاحت الفرصة للحنابلة كي يسهموا بجهودهم في حركة الإحياء السني في مصر، ذلك أنهم حتىٰ تاريخ إنشاء هذه المدرسة كانوا هم الفئة الوحيدة من بين طوائف السنة التي لم يهتم الأيوبيون الأولون بإنشاء مدارس لها، ولعل السر في عدم الاهتمام بأمرهم أنهم كانوا فئة نادرة.

---

١) د. عفاف سيد محمد صبرة: المدارس في العصر الأيوبي، ص١٧٠، بحث ضمن سلسلة تاريخ المصريين ندوة (تاريخ المدارس في مصر الإسلامية) إعداد د. عبد العظيم رمضان.

٢) مصطفي عبد الرازق: الإمام الشافعي، ص٣٧.

٣) د عفاف صبرة: المرجع السابق ص ١٧١ .

وهناك القليل من المدارس التي جمعت بين مذهبين حتىٰ عهد الصالح أيوب عندما تخصصت الصالحية في المذاهب الأربعة[1].

وكان معنىٰ التخصص في هذه المدارس أن مذهبًا فقهيًا يكون هو تخصص الدراسة بالمدرسة بل إن المدرسة تنشأ من أجله[2] وهذا يتشابه مع النظم الجامعية الحديثة في وظيفة أستاذ كرسي لتخصص معين، ومع ذلك فلا مانع من تدريس مواد أخرىٰ، فكانت المدرسة التي تنشأ للشافعية مثلاً يدرس فيها كثير من ألوان الثقافة الإسلامية الأخرىٰ غير الفقه، وذلك للتلاميذ الشافعية، وهكذا.

ويتضح من ذلك أن جملة المدارس المعروفة بمصر والقاهرة في العصر الأيوبي أربع وعشرون مدرسة، ست منها خصصت للمذهب الشافعي، وثلاث للحنفي، وثلاث للمالكي، وسبع لم تحدد مذاهب الدراسة بها، ومدرسة واحدة للمذهبين الشافعي والمالكي معًا، وأخرىٰ للمذهبين الشافعي والحنفي وعلم القراءات، وثالثة للمذهب المالكي وعلم النحو، ورابعة للحديث، وخامسة للمذاهب الأربعة، وهي "المدرسة الصالحية"، وبذلك تعد المدرسة الصالحية بأنها جامعة، لأنها تحتوي علىٰ أقسام علمية أيضًا، إلىٰ جانب المذاهب الأربعة[3].

ورغم أن العلوم الشرعية من فقه وحديث وقرآن هي التي كانت تمثل العلوم الأساسية التي تدرس في المدارس إلا أن ذلك لم يمنع وجود بعض العلوم

---

١) أحمد أحمد بدوي: الحياة العقلية، ص٤١.

٢) ناجي معروف: نشأة المدارس المستقلة، ص١٢.

٣) انظر في ذلك: د حسن نويصر: العمارة الإسلامية في مصر (عصر الأيوبيين والمماليك) مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ١٩٩٦م، ص ٧٦.

د آمال العمري ود أحمد علي الطايش: العمارة في مصر الإسلامية (في العصريين الفاطمي والأيوبي) ط القاهرة ٢٠٠٨م ص ١٢٤ـ ١٢٦ .أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري: منظمة العواصم والمدن الإسلامية، القاهرة ١٩٩٠م، ص ٦٨و٦٩.

الأخرىٰ التي لم تهمل، بل كانت تدرس في هذه المدارس الجامعة، وذلك مثل النحو والفلسفة.

والمعروف أن الدراسات الإسلامية تنقسم إلىٰ قسمين: العلوم العقلية والعلوم الطبيعية وتعتمد العلوم النقلية علىٰ الوازع الديني وتشمل كل فروع المعرفة التي تتعلق بالقرآن، وهي التفسير والقراءات والحديث وما يتعلق بالقرآن الكريم من علوم مثل الناسخ والمنسوخ ومصطلح الحديث والفقه والفرائض من المواريث، وأصول الفقه وما ارتبط به من أصول الشريعة، والفرق بين المذاهب والكلام والتصوف، وما يلي دراسة القرآن الكريم والحديث دراسة العلوم اللغوية، مثل النحو واللغة والبيان والآداب. أما العلوم النقلية الطبيعية يمكن تقسيمها إلىٰ سبعة أقسام وهي: المنطق والحساب والهندسة والفلك والموسيقىٰ، والطبيعيات (الطب والفلاحة) ثم علم الهيئة (الميتافيزيقا)[1].

وأما عن طريقة التدريس في المدرسة الصالحية وغيرها من المدارس الأيوبية في مصر، فإن التدريس قد اعتمد علىٰ الإلقاء والتلقين والإملاء، وربما دارت مناقشات علمية بين المدرس وطلابه، خاصة في المرحلة الأخيرة، وكان هناك تنظيم مطبق في قاعات الدروس بغية العمل والإفادة[2].

وكانت الطريقة التي يعطي بها الدرس، أن المدرس كان يفتتح كل مراحل دراسته بالبسملة والصلاة والتسليم علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وآل بيته وصحابته، وربما ذكرت بعض آيات من الذكر الحكيم وبعض أحاديث نبوية تحث علىٰ العلم والجد وعلىٰ حسن السيرة والأخلاق، ثم يبدأ إعطاء الدروس[3].

---

١) راجع د. عفاف سيد صبرة: في العصر الأيوبي ، ص١٧٠، ١٧١، سلسلة تاريخ المصريين، أبحاث ندوة، المدارس في مصر الإسلامية، سنة ١٩٩١م، إعداد د. عبد العظيم رمضان.
والمقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٣٦٤، والعريني: مصر في عصر الأيوبيين، ص٢٢٣.

٢) أسعد طلسي: التربية والتعليم في الإسلام، ص١٤٥.

٣) د. أحمد شلبي: تاريخ التربية والتعليم، ص٣٧٤.

وعند الحديث عن **الهيئة التعليمية العامة والإدارية للمدرسة الصالحية**، فمن الملاحظ أنها كانت ترتبط بالوقف علىٰ المدارس، بمعنىٰ أن دور الأوقاف في المدارس الإسلامية بعامة وفي مدارس مصر خلال العصر الأيوبي خاصة مقتصرًا علىٰ الموارد المالية فقط، وإنما شمل كذلك كافة الجوانب التعليمية والدينية والإدارية، ومن ثم فيمكن القول بأن حجة الوقف كانت أشبه ما تكون باللائحة الأساسية للمدرسة التي تضم الأسس التربوية للتعليم موضحًا بها الشروط الواجب توافرها في الدارس والمدارس علىٰ حد سواء وما يتبع ذلك من النظم والقواعد الإدارية والمالية، ولم يكن ما أحدثه الأيوبيون في مصر في تلك الناحية سوىٰ النقل والتقليد، وقد تكون الجهاز الإداري لكل مدرسة من المدارس (بما فيهم المدرسة الصالحية) من المدرسين والمعيدين والأئمة والقراء والمؤذنين والنظار والخدم والطلاب، وغيرهم من موظفي المكتبات.

المدرسون: وهم القائمون بالتدريس. وقد ذكر المؤرخ القلقشندي أن المدرس هو الشخص الذي أسندت إليه مهمة تدريس الفقه أو الحديث أو التفسير في إحدىٰ المدارس، ويكون ذلك مطابقًا لشروط الواقف، لا يزيد ولا ينقص[1].

ولاشك أن المدرسين في العصر الأيوبي كانوا هم الدافع الأول وراء إنشاء المدارس في ذلك العصر، ويؤكد ذلك أن كثيرًا من المدارس تم إنشاؤها من أجل مدرس بعينه، إلىٰ الحد الذي كانت تعرف باسمه بأكثر ما تعرف باسم واقفها، ومثال ذلك المدرسة الهكارية[2].

---

١) القلقشندي: صبح الأعشىٰ، ج٥، ص٤٣.

Stanely lane pocly op. cit. p. 108.

٢) المدرسة الهكارية: أسسها جمال الدين الهكاري في بين القصرين بالقاهرة وبقىٰ في تدريسها إلىٰ أن توفي سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م، وكان أول مدرس بها هو أبو عمرو عثمان الهذباني المعروف بضياء الدين، كان من أئمة الشافعية. وبذلك كانت هذه المدرسة من مدارس الشافعية. انظر: السخاوي: تحفة الأحباب، ص٨٧.

وكان المدرسون بمثابة النواة الحقيقية للمدارس ودعامة من الدعامات الرئيسية التي ساهمت في انتشارها في تلك الفترة بالذات، إذ إن المدارس بمصر في ذلك الوقت كانت بالأمر الجديد والتي لم تكن قد اكتملت صورتها في عقول المصريين، لذا فقد حرص مؤسسو المدارس الأيوبية بمصر علىٰ استقطاب المشاهير من العلماء للتدريس بمدارسهم[1].

وكانت تولية المدرسين في أول الأمر بالمدارس بيد واقفها، وأما بعد ذلك فإنها أصبحت من مهام ناظر الأوقاف بالديار المصرية، يولي بها من يراه صالحًا لتلك المهمة، وعلىٰ الرغم من ذلك فقد تدخل بعض الملوك من الأيوبيين في تولية وعزل المدرسين ومثال ذلك ما حدث بالمدرسة الكاملية حين تدخل الملك الكامل في تولية ابن دحية() مدرسًا بها ثم عزله بعد ذلك وتولية أخيه بدلاً منه[2].

والحقيقة أن وظيفة التدريس لم تكن من الوظائف المستقلة في مصر في العصر الأيوبي إذ تروي لنا المصادر التاريخية عن بعض المدرسين الذين جمعوا بين وظيفة التدريس في إحدىٰ المدارس الأيوبية بمصر وبين وظائف أخرىٰ كالخطابة والإفتاء والقضاء في الوقت نفسه ومثال ذلك الفقيه الكبير العز بن عبد السلام الذي كان يجمع بين يديه كل من القضاء والخطابة بجامع مصر والتدريس بالمدرسة الصالحية[3].

المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٧٣، المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص٩٠.

اليافعي: مرآة الجنان، ج٤، ص٣.

1 (Creswell, K, A, C, Op. Cit, p. 130.

٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص١٤٤، وما بعدها.

٣) الداودي: طبقات المفسرين، ج١، ص٣١٨.

وكان القاضي عماد الدين ابن السكري يجمع بين وظيفتي القضاء والتدريس في أكثر من مدرسة[1].

ومن الملاحظ في وظيفة المدرس أن الابن كان يلي أباه في مهمة الجلوس لتلك المهمة، ومعنىٰ ذلك أن عائلات بعينها قد تولت مهمة التدريس، ومثال ذلك عماد الدين بن السكري وأولاده الذين تولوا مهمة التدريس بالمدرسة التقوية، واحدًا تلو الآخر[2].

ويبدو أن تلك الظاهرة كانت منتشرة في ذلك الوقت، وقد أشار المؤرخ ابن كثير أن الملك الظاهر بيبرس لما أحس بدنو أجل الشيخ عز الدين بن عبد السلام المدرس بالمدرسة الصالحية سعىٰ إليه، وسأله عن من يوصي من أولاده ليكون خلفًا له في التدريس بالمدرسة المذكورة، فاستعفي من ذلك، بسبب أنه لا يرىٰ فيهم أحدًا مناسبًا، لذلك وأوصىٰ بها إلىٰ القاضي تاج الدين بن بنت الأعز من بعده[3].

---

١) ابن حجر العسقلاني: رفع ا؟؟؟ ، ج١، ق١، ص٣٤١.

- وعماد الدين ابن السكري: هو عبد الرحمن بن محمد بن علي المصري الشافعي ولد بمصر سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٨ م وتفقه علىٰ الشهاب الطوسي بمدرسة منازل العز التي درس فيها بعد ذلك وكانت وفاته بمصر سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م، انظر:

النويري: نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٤٢.

٢) وقد تمثلت تلك الظاهرة في مدارس أخرىٰ أيضًا مثل المدرسة السيوفية والمدرسة الناصرية وغيرهما.

٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٣٥، وانظر أيضًا:

العيني: عقد الجمان، ص٣٣٩، وابن سعد اليافعي: مرآة الجنان، ج٤، ص١٩٤.

والإسنوي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٨٥.

والقاضي تاج الدين بن بنت الأعز: هو قاضي القضاة عبد الوهاب بن خلف المصري الشافعي صدر الديار المصرية ورئيسها، كان ذا ذهن ثاقب وحدس صائب ونزاهة في تثبت الأحكام، وبعد وفاته قام بالتدريس بالمدرسة الصالحية ابناه، صدر الدين عمر المتوفي سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨٣م، وتقي الدين أبو القاسم عبد الرحمن المتوفي سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٨م، توفي بمصر سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م،

وأما عن مكانة المدرس في المجتمع المصري في العصر الأيوبي فقد بلغت درجة كبيرة من الاحترام والتقدير، وقد ساهم المدرسون بالمدرسة الصالحية في نشر الثقافة الإسلامية وقاموا بدورهم خير قيام في العملية التعليمية.

وتأتي بعد ذلك وظيفة المعيدين التي ارتبطت بنشأة المدارس نظرًا لتفاوت مستويات الطلبة في الفهم والاستيعاب، ولذلك حرص المؤسسون لتلك المدارس علىٰ أن يولوا بها معيدين، تكون مهمتهم الرئيسية إعادة الدرس الذي ألقاه المدرس علىٰ الطلبة[1] . وعلىٰ ذلك، فالمعيد - علىٰ حد قول السبكي - عليه قدر زائد علىٰ سماع المدرس من تفهيم بعض الطلبة ونفعهم وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة[2]، فوظيفة المعيد إذا هي مساعدة المدرس وإعادة المعلومات علىٰ الطلبة ، فهو أكبر منهم درجة ويجلس معهم ليستمع إلىٰ ما يعطيه المدرس، وبعد ذلك يرجع إليه الطلاب ليشرح ما قد يكون قد صعب فهمه عليهم[3]. ولقد حدد ابن جماعة مواصفات ومهام المعيد؛ بأن يكون من صلحاء الفضلاء، وفضلاء الصلحاء، صبورًا علىٰ اختلاف الطلبة، حريصًا علىٰ فائدتهم وانتفاعهم به[4]. ولاشك أن تلك الوظيفة كانت تسهم أحيانًا في سد العجز الذي كانت تواجهه بعض المدارس من جراء نقص المدرسين، وهذا يدل علىٰ أهميتها. هذا بالإضافة إلىٰ أنها كانت وظيفة محترمة، ولها مكانة داخل المدرسة، ولم تكن هذه الوظيفة محدثة في العصر الأيوبي، وإنما كانت معروفة قبل ذلك.

انظر: اليافعي: مرآة الجنان، ج٤، ص١٩٤. والسيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص١٧٤، والسبكي: طبقات الشافعية، ج٥، ص١٣١.

١) ماجدة حسن: الثقافة والتربية في مصر علىٰ عهد بني أيوب، ص١٢٣.

٢) السبكي: معيد النعم، ص١٠٨.

٣) د. سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك، ص١٤٢.

٤) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ص ٢٠١ ط بيروت ١٩٦٧م.

وإلىٰ جانب المدرسين والمعيدين كانت توجد وظائف أخرىٰ في المؤسسات التعليمية خلال العصر الأيوبي، ومنها وظيفة الإمام؛ حيث يذكر المؤرخ المنذري في كتابه (التكملة) أحد معاصريه وهو الإمام أبو إسحاق إبراهيم المازني المقرئ الشافعي الضرير المتوفي سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م، وأن هذا الإمام قد أم بالمدرسة الفاضلية[١] إلىٰ حين وفاته[٢] وكانت مهمة صاحب هذه الوظيفة مقتصرة علىٰ إمامة المقيمين بالمدرسة في الصلاة.

وكانت توجد أيضًا وظيفة القارئ، وكانت مهمته تتعلق بقراءة القرآن داخل المدرسة؛ ومثال ذلك الشيخ الصالح أبي الربيع سليمان الذي أقرأ وأم بالناس بالمدرسة الصالحية وتوفي سنة ٦١٢هـ/ ١٢١٦م[٣].

وكانت هناك أيضًا وظيفة المؤذن الذي يؤذن للناس في أوقات الصلاة وقد انتشرت هذه الوظيفة بمدارس مصر في العصر الفاطمي والأيوبي معًا. ومن الذين تولوا هذه الوظيفة في العصر الأيوبي أبو الحسن علي النجمي الذي سمع بدمشق ومصر من غير واحد وحدَّث، وولىٰ التأذين بالمدرسة الصاحبية بالقاهرة المحروسة، وهي مدرسة مالكية، وتوفي سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م.

---

١) ماجد محمد حسن: الثقافة والتربية في مصر علىٰ عهد بني أيوب، ماجستير، كلية التربية، المنيا، ١٩٨٣م، ص١٢٣.

وجمال الدين الشيال: أعلام الإسكندرية، ص١٤١.

٢) المدرسة الفاضلية: هي مدرسة شافعية مالكية بناها القاضي الفاضل وهو وزير صلاح الدين وكاتب السر والإنشاء في عهده، وكان بناؤها في سنة ٥٨٠هـ وقد نسب إليه، وهي المدرسة الأولىٰ في العصر الأيوبي التي قامت بتدريس مذهبين وقد كانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها.

انظر: المقريزي: الخطط، ج٣، ص٣١٩، ٣٢٠ وناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية ص٢٨.

٣) المنذري: التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص٣٦١.

وكان يعين بالمدرسة رجلاً كانت مهمته الرئيسية هي الإشراف علىٰ مصالح الوقف بها وما يحتويه وقد أطلق عليه الناظر لأنه ينظر في أوقاف المدرسة، ومن الجائز أن يكون صاحبها مدرسًا أو غير ذلك[1].

وقد تطلب النظر في مصالح المدرسين والطلبة وغيرهم من أهل المدارس وجود وظيفة الخدم، وقد حرص أصحاب المدارس علىٰ الاهتمام بتوفير الخدم بمدارسهم، وقد ذكر لنا السبكي أيضًا أن مكتبات المدارس[2] كان يلحق بها موظفون مهمتهم الرئيسية المحافظة علىٰ الكتب، فهم مُوظَّفو المكتبة الذين يشرفون علىٰ إعادتها وترتيبها[3].

ورغم وجود كل هذه الوظائف باعتبارها الهيئة التعليمية والإدارية التي ينبغي أن تكون بأي مدرسة إلا أننا لا نستطيع أن نسلم بوجود كل هذه الوظائف مجتمعة في مدارس مصر في العصر الأيوبي.

وأما طلاب المدارس، وهم الأساس الذي كانت تبنىٰ عليه العملية التعليمية، بتلك المدارس، فإنهم تنوعوا ما بين طلاب منتظمين، وهم الذين رتبوا حسب ما تقتضيه حجة وقف كل المدرسة علىٰ حدة، ويحتمل أن عددهم كان معروف ثابتًا بشرط الواقف، وما بين طلاب غرباء وافدين حلت بهم الرحلة بديار مصر، وكانوا يفضلون الإقامة بالمدارس الأيوبية للاستفادة من الخدمات التي كانت تقدمها تلك المدارس لهؤلاء. ويضاف لذلك أيضًا وجود طلاب غير

---

١) المنذري: التكملة، ج٣، ص٣٧٢.

٢) من الملاحظ هنا ارتباط المدارس بالمكتبات إذ قلما تخلو مدرسة من مكتبة تتبعها مزودة بمجموعة من كتب ضخمة أو صغيرة تبعًا لمكانة المدرسة ومقدار الأوقاف عليها، هذا فضلاً عن المكتبات الملحقة بالمساجد والمكتبات الخاصة.

٣) السبكي: معيد النعم، ص١١.

منتظمين، وهم الذين كانوا يحضرون مجالس العلماء بصورة غير منتظمة على حسب ما تقتضيه في ذلك ظروفهم[1].

وجدير بالذكر أنه لم تكن هناك قواعد عامة لقبول الطلاب بالمدارس، ولذلك لم تحدد سن معينة ليلتحق الطلاب بالمدرسة، أو يحدد مستوى علمي معين، فالمدارس مفتوحة الأبواب للجميع، والطالب حر في اختيار نوع الدراسة والمدارس، شريطة أن تكون لديه القدرات والاستعدادات والميل والرغبة لما يتعلمه.[2]

وعند الحديث عن **الأوقاف المخصصة للمدرسة الصالحية**، فيمكن القول: إن المؤسسين للمدارس بمصر طوال العصر الأيوبي قد اهتموا بأن يوقفوا عليها الأوقاف المناسبة، لضمان بقائها[3].

وقد كانت المدرسة الصالحية في مقدمة المدارس بمصر في العصر الأيوبي التي خصص لها الوقف، وقد أسهم ذلك بشكل ملحوظ في استقرار أحوال

---

١) أحمد عبد الحميد خفاجي: المرجع السابق ص ٢٣.

٢) د منير سعد الدين: المدرسة عند المسلمين، مجلة التراث العربي، دمشق، ١٩٩٢م، لسنة١٢، ص٧٩.

٣) الوقف في اللغة هو: الحبس، يقال: وقف الأرض للمساكين وقفًا، أي حبسها، انظر: ابن منظور: معجم لسان العرب، د. ت. ج٩، ص٣٥٩، مادة: وقف.

وأما معناه في الاصطلاح فقد اختلفت عبارات الفقهاء في تحديد ذلك تبعًا لاختلافاتهم من حيث الشروط والأركان فالمذهب الحنفي مثلاً يرى أن الوقف هو حبس العين على حكم ملك الله والتصدق بالمنفعة، أما الشافعي فيرى أن الوقف تحبيس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه، بقطع تصرف الواقف وغيره في رقبته، ويصرف في جهة خير تقربًا إلى الله تعالى، والمذهب الحنبلي يرى أن الوقف تحبيس في الأصل وتسبيل الثمرة، أما المذهب المالكي فيرى أن الوقف هو جعل منفعة مملوك ولو بأجرة أو غلقه لمستحقه بصيغة مدة ما يراه المحبس، انظر في ذلك:

١- المرغيناني: الهداية، د. ت، ج٣، ص١٣.
٢- النووي: تحرير ألفاظ التنبيه، رقم ١٤٠٨، ج٣، ص٥٥٠.
٣- ابن قدامة: المغني، د. ت، ج٥، ص٥٩٧.
٤- أحمد الدردير: أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، د. ت، ج٥، ص٣٧٣.

المدرسين والمعيدين والطلبة، ولاشك أن الوقف علىٰ المدارس في ذلك العصر لعب دورًا مهمًا في استمرار أداء المدارس مهمتها التعليمية وتثبتت أركانها وتجنبها الاندثار والزوال[1].

وفي ذلك يقول أحد الباحثين: "ولم يغفل بناة المدارس بمصر عن وقف الأوقاف عليها، حتىٰ تؤدي رسالتها علىٰ خير وجه، ولم يكن ذلك الاتجاه بغريب في المدارس الأيوبية بمصر، بل سبقهم إلىٰ ذلك بناة المدارس في العالم الإسلامي من قبلهم، وبالطبع فإن تلك الأوقاف والحبوس كانت تؤول إلىٰ ديوان الأحباس الذي صار من بين مهامه الرئيسية الإشراف علىٰ أوقاف المدارس[2]. والحق أن صلاح الدين كان أول من اهتم بتلك الخطوة، فمجرد أن تم بناء المدرسة الناصرية الأولىٰ أوقف عليها الصاغة التي بجوارها وقرية بالفيوم[3].

والحقيقة أن الوقف قد أسهم في المجتمعات الإسلامية في إنماء كثير من أمور حياتهم الاجتماعية والدينية والتعليمية، فقد أنشئت بأموال الواقفين مدارس ومعاهد متنوعة مجانية، بل وتعطي مخصصات ومساندات لأسر المتعلمين فيها، وخصوصًا تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم الشريعة[4].

ومن أهمية الوقف في الإسلام، أنه نوع من أنواع الترابط والتكافل الاجتماعي، وربط السلف بالخلف وخدمة طلاب العلم والعلماء وإعمار المساجد والبر بين أبناء المسلمين، فمن خلال التوجيهات القرآنية والأحاديث

---

١) وجدير بالذكر هنا ما ذكره المؤرخ الكبير المقريزي عن المدرسة القمحية حيث يقول "وقد أحاط بها الخراب ولولا ما يتحصل منها للفقهاء فيها لدثرت"
انظر: الخطط، ج٢، ص٣٦٤.

٢) أيمن شاهين: المدارس الإسلامية في مصر، ص١٣٦، القاهرة، ١٩٩٩م.

٣) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٦٣، وانظر أيضًا: القلقشندي: صبح الأعشىٰ، ج٥، ص٣٢٧.

٤) طارق بن عبد الله: تاريخ المدارس الوقفية في المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد ١٢٠، السنة ٣٥، ص٤٧٤، سنة ٢٠٠٢م.

النبوية قام المسلمون فدفعوا أكارم وأنفس أموالهم لله تعالىٰ، ثم لأبناء المسلمين. ولقد استفاد العالم الإسلامي وما زال في ظل هذه الصدقات الجارية لبناء المساجد ودور العلم والمكتبات والأربطة[1] والمدارس الوقفية في معظم دول العالم الإسلامي. وكان للأوقاف في عصر الأيوبيين أثر عظيم في استمرار الحياة العلمية وانتعاشها وسيرها في الطريق الصحيح، ولعل السر الأكبر الكامن وراء النهضة الفكرية يقود إليها حيث كانت المورد الأول لكل المؤسسات والفعاليات العلمية.

وبما أن المدارس عبارة عن مؤسسات تعليمية مستقلة فقد اختير للتدريس فيها العلماء الأكفياء، وطلابها متفرغون، فقد وقفت لهم المصروفات والإعاشة والإنفاق، فضلاً عن الدراسة والعلاج، ومن ضمن أشهر المدارس، المدرسة النظامية التي أسسها الوزير نظام الملك سنة ٤٥٩هـ ببغداد[2] والمدرسة النورية

---

١) الأربطة: كانت في بدايتها تستعمل للجند لحراسة الثغور في معظم الدول الإسلامية وبمرور الزمن ومع إقبال الناس علىٰ المرابطة، أضافت تلك اربطة إلىٰ وظيفتها الجهادية العسكرية وظيفة التدريس والتأليف من قبل العلماء والفقهاء المرابطين فيها، وقد خطبت باهتمام المسلمين فكثر الواقفون عليها، وخلال القرن الثالث والرابع الهجريين ازدهرت الأربطة بسبب ما وقف عليها أهل الخير من الإمداد، فقصدها طلاب العلم من كل صوب لطلب العلم، ومما ساعد علىٰ ذلك وجود السكن والإعاشة ثم أخذ بعض العلماء والمشايخ والفقهاء يقيمون بها فوفد إليها من يتلقىٰ عنهم العلم والفنو المختلفة بها، انظر الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، د. ت بيروت ، ص١٥١ .
ابن منظور : لسان العرب، د. ت بيروت، ج٧، ص٣٠٢.
د. سعيد إسماعيل علي: معاهد التربية الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٥٩٥.
ناجي معروف: أصالة حضارتنا العربية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٥م، ص٣٥١.
د. حسين مؤنس: فجر الأندلس، الدار السعودية، جدة، ١٤٠٥هـ ص٦٢٣.
٢) رضا: حكام الوقف، ص٣٤، ١٣٥٧هـ.

التي أسسها نور الدين زنكي بالشام. ومن المدارس التي شملها الوقف أيضًا المدرسة الصالحية بمصر والظاهرية بدمشق والسعودية ببغداد[1].

أما أوقاف المدرسة الصالحية، فلم تشر المصادر والمراجع إلىٰ أي منها في عهد الصالح أيوب. ويبدو أن ديوان الأحباس[2] تولىٰ الصرف علىٰ المدرسة الصالحية[3] ولكن بعد سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م قسمت الأراضي التي خلف المدرسة الصالحية وأوقفت عليها، ثم أوقف الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان بن الظاهر بيبرس الصاغة التي تجاهها وأماكن أخرىٰ بالقاهرة، وبمدينة المحلة التابعة لمحافظة الغربية وبالجيزة وبإطفيح، وذلك للصرف من هذه الأوقاف علىٰ مدرسي المدرسة الأربعة والمعيدين، وكان عند كل مدرس معيدان، وعدد من الطلبة، وما يحتاج إليه من أئمة ومؤذنين وذلك سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م[4].

---

١) طارق بن عبد الله: مرجع سابق، ص٤٧٧.

٢) محمد محمد أمين: الملك الصالح نجم الدين أيوب، ماجستير، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٨٩.

٣) ديوان الأحباس: كان يشرف علىٰ رواتب العلماء والفقهاء والقراء وأرباب الحديث والخطباء وأئمة المساجد، فضلاً عن المدرسين في مختلف المدارس التي أوقفها أصحابها علىٰ التعليم ومنها المدرسة الصالحية وله أيضًا الإشراف علىٰ وجوه النفقة للأوقاف الأهلية حسب شروط الواقف، والصرف علىٰ افتداء أسرىٰ المسلمين وهو من أهم الدواوين في العصر الأيوبي، انظر: النابلسي: لمع القوانين، ص٢٦.
والمقريزي: الخطط، ج٢، ص٧٨، ٧٩.
وابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣١٩، ٣٢١.
و د. حسنين ربيع: النظم المالية، ص٧٩.

٤) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٧٤، د. أحمد شلبي: تاريخ التربية، ص١٠٤- ١٠٦، والسيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص١٤٠، وعبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، ص١٦٢، وأحمد بدوي: الحياة العقلية في الحروب الصليبية، ص٤٠، ٤١.

وعندما قامت الدولة الأيوبية أصبح للوقف غاية جديدة، إذ عمل الأيوبيون علىٰ استغلال نظام الوقف[1] ومتحصلاته لتدعيم حكمهم السياسي من ناحية، ومن أجل الجهاد الديني ضد الصليبيين من ناحية أخرىٰ، وكانت واردات معظم أوقافهم تنفق علىٰ المدارس، وبيوت الصوفية، وفك أسرىٰ المسلمين من أيدي الفرنج، وتدل المصادر التاريخية علىٰ كثرة الأوقاف التي أوقفها السلطان صلاح الدين وبقية أفراد أسرته[2].

وسارت دولة المماليك علىٰ المنهج نفسه لاسيما وأنها خرجت من رحم الدولة الأيوبية، ولكنها تميزت عنها بكثرة الأوقاف الملفتة علىٰ المؤسسات والنشاطات الدينية والعلمية.

وقد عرفت الأوقاف ثلاثة أنواع؛ النوع الأول: يُعرف بالأحباس[3]، ويترأسها دوادار السلطان، وتتألف من ديوان فيه عدة كتّاب ومدبر، ويشتمل هذا النوع علىٰ أراض من أعمال مصر خصصت للقيام بمصالح المساجد والزوايا ونحوها من جهات البر.

---

١) من الجدير بالذكر أن مشروعية الوقف قد وردت في القرآن الكريم في آيات تحث وتدفع أتباعه علىٰ البذل والإنفاق وفعل الخيرات، فهو جزء من أعمال البر وفعل الخير، قال تعالىٰ: " لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ" (آل العمران: ٩٢) وقوله تعالىٰ: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ" (البقرة: ٦٧).

وفي كتب السنة النبوية كانت هناك أحاديث متعددة تدل علىٰ مشروعية الوقف، منها قول الرسول ﷺ: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتع به أو ولد صالح يدعو له" (صحيح مسلم د. ت ٣/ ١٢٥٥).

٢) المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمّان، مؤسسة آل البيت، ١٩٩٠م، بحث الدكتور محمد محمد أمين: الأوقاف والتعليم في مصر زمن الأيوبيين، ج٣، ص٨٠٧، ٨٠٨.

٣) مفرد الأحباس: حبس؛ وهو الوقف علىٰ ما ذكر القلقشندي (أحمد بن علي): صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشا، ت : محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٧م، ج١١، ص٢٤٨.

ويعرف النوع الثاني بالأوقاف الحكمية بمصر والقاهرة، ويترأسها قاضي القضاة الشافعي، ويقال لمن يلي هذا النوع ناظر الأوقاف، ويشتمل علىٰ الأوقاف المحبوسة علىٰ الحرمين، وعلىٰ الصدقات والأسرىٰ وأنواع القرب.

ويعرف النوع الثالث بالأوقاف الأهلية، ولها ناظر خاص؛ وهو من أولاد الواقف، أو من ولاة السلطان، أو القاضي. ويشتمل هذا النوع علىٰ أراضٍ من أعمال مصر والشام وبلاد أخرىٰ مقررة، وهي موقوفة لصالح الخوانق والمدارس والجوامع والترب[1].

وقد خُصِّص النوعان الأول والثالث من الأوقاف لبناء المؤسسات العلمية والدينية، ولذلك نالت هذه الأماكن حصة الأسد من الأوقاف. ومن ناحية ثانية كان للأوقاف عامة أثرها الاقتصادي المؤثر في شتىٰ مجالات حياة الدولة، فمن عائداتها أنفق علىٰ المؤسسات التعليمية ودور الثقافة والمشافي والمصحات[2].

ولأهمية الوقف، وكي يؤتي فوائده المرجوة، عين له موظف سمي "ناظر الوقف"؛ وهو المسؤول عن المباشرة في توظيف الوقف بحسب الجهة المخصص لها. وينقل لنا القلقشندي (توفي٨٢١هـ/ ١٤١٨م) نسخة توقيع لناظر أوقاف مصر والقاهرة، ونتبين من خلالها وظيفة الناظر وأهمية الوقف علىٰ المؤسسات التعليمية؛ تقول النسخة: "ولما كان فلان هو الذي لا يتدنس عرضه بشائبة، ولا تمسه المصالح وهي عن فكره غائبة ... فليباشر هذه الوظيفة مباشرة حسنة التأثير، جميلة التثمير ... ولينظر في هذه الأوقاف علىٰ اختلافها من ربوع ومبانٍ ومساكن... وحانات مسبلة وحوانيت مكملة ومسقفات معمورة،

---

١) المقريزي : الخطط ، بيروت، دار صادر، ج٢، ص٢٩٥، ٢٩٦.

[2]) **Degiulhem (Randi): Le Waqf dans lespace Islamique, Damas, 1995, p. 29.**

وانظر بروكلمان (كارل): تاريخ الشعوب الإسلامية، ترنبيه فارس، منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٦٨م، ص٣٧١.

وساحات مأجورة غير مهجورة... وليتبع شروط الواقفين، ولا يعدل عنها... ويندرج في هذه الأوقاف ما علىٰ المساجد ومواطن الذكر، فليقم شعارها، وليحفظ آثارها، وليرفع منارها"[1].

وترتبط بهذه الوظيفة وظيفة أخرىٰ هي وظيفة نظر الأحباس؛ وهي: "وظيفة عالية المقدار، وموضوعها أن صاحبها يتحدث في رزق الجوامع والمساجد والأربطة والزوايا والمدارس من الأرضين المفردة لذلك... وما هو من ذلك علىٰ سبيل البر والصدقة لأناس معينين"، وتتبع هذه الوظيفة لديوان الأحباس أو ديوان الأوقاف وهو يشبه وزارة الأوقاف في عصرنا[2].

فريع الأوقاف هو المصدر المالي الأساسي لغالبية المؤسسات العلمية في العصر الأيوبي، ويُفهم من هذا أن الحركة العلمية الواسعة التي شهدها ذلك العصر، وبسبب الإقبال علىٰ إنشاء المدارس واستمرار التعليم فيه، إنما هي في الحقيقة من نتائج ازدهار الأوقاف وانتشارها في العصر الأيوبي[3].

وتؤكد المصادر التاريخية العلاقة التي لا تنفصم بين المساجد والمدارس والأوقاف؛ فقد كان للأوقاف الفضل الأول في احتفاظ المساجد الكبرىٰ بشهرتها العلمية من ناحية، واستمرارها مراكز للحركة العلمية من ناحية ثانية[4]. فمن الملاحظ أنه لم يبن مسجد إلا وقد قرر له وقفه الذي سيصرف منه عليه، وعلىٰ القائمين ببنائه والعمل به من الأئمة والخدام والمؤذنين والمدرسين ونحو ذلك[5].

---

١) القلقشندي: صبح الأعشىٰ، ج١١، ص٢٥٣- ٢٥٥.

٢) نفسه، ج٤، ص٣٧- ٣٩، ص٢٤٨.

٣) محمد أمين (محمد): الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار النهضة، ط١، ١٩٨٠م، ص٢٤٢.

٤) نفسه، ص٢٦٠.

٥) انظر بشأن موضوع المساجد وأوقافها: ابن الجيعان (يحيىٰ): التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، دار الكتب الظاهرية، ص٤، ٦، ٨، ٤٦، ٤٩، ١١٦، ١٢٠، ١٢٢، ١٣٨، ١٥٩، ١٦٧، ١٧٣، ١٨٢، ابن شداد (محمد بن علي): تاريخ الملك الظاهر، اعتناء أحمد حطيط، بيروت، المعهد الألماني للأبحاث، ١٩٨٣م،

وتدين الحركة العلمية في زوايا جامع عمرو بن العاص في استمرارها إلىٰ الأوقاف؛ حيث كان لكل زاوية وقف يصرف منه علىٰ مشاغلها[1].

وإذا ما انتقلنا إلىٰ المدارس الرسمية فإننا سنجد الحال نفسها، وذلك لأنه علىٰ الرغم من كثرة أعداد المدارس آنذاك فإنه لم يكن هناك سياسة تعليمية للدولة أو للسلاطين، وإنما كانت الدوافع الدينية والسياسية السبب في إنشاء المدارس، وهذا ما أعطىٰ الأوقاف أهمية خاصة بالنسبة للتعليم، فالأوقاف هي التي ثبتت أركان المدرسة ودعمت نظامها، ومكنتها من أداء رسالتها، وكان الريع الذي تقدمه الأعيان الموقوفة علىٰ المدرسة شهريًا أو سنويًا نقدًا أو عينًا هو الضمان لاستمرار العمل بالمدرسة، حيث تدفع منه مرتبات موظفي المدرسة والطلبة بحسب شرط الواقف[2].

فلقد توزعت الأوقاف علىٰ مدارس ذلك العصر الكثيرة، وكان ذلك سبب توجه المدرسين إليها، وإقبال طلبة العلم عليها[3].

ص٣٤٦، النويري (أحمد بن عبد الوهاب): نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: الباز العريني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ج٣١، ص٣٢٢، المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٨، ٢٧٨، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣١٢.

١) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٥٥، ٢٥٦.

٢) محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص٢٤٠.

٣) انظر بشأن المدارس وأوقافها: ابن الجيعان: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، ص٧، ٨، ١٢، ٩٠، ٩١، ٩٣، ١٠١، ١١٤، ١٣٢، ١٣٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٤، ابن عبد الظاهر (محيىٰ الدين): تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تح: مراد كامل، القاهرة، الشركة العربية، ط١، ١٩٦١م، ص١٢٧، ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٢٢٠، ٢٢٧، ٢٢٨، ٣٤٤، النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٩٣، ج٣١، ص١٠٦، ابن دقماق (إبراهيم بن محمد): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بيروت، لجنة إحياء التراث، دار الآفاق، ق١، ص٩٢، ٩٥، ٩٦، المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٧٤، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٤، ٣٨٨، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٨.

وخلاصة القول إن الوقف منهج متكامل دينيًا وتعليميًا واجتماعيًا واقتصاديًا انفرد الإسلام بتشريعه والبحث عليه لذا نجد معظم الأوقاف الخيرية اهتمت بتعليم الإنسان المسلم من خلال دور العلم عبر القرون.

ويضاف إلىٰ ذلك أن الأوقاف كانت المورد الرئيسي للصرف علىٰ المدارس وباقي المؤسسات العلمية واستمرارها في أداء رسالتها، وكان ذلك مرهونًا بما تغله هذه الأوقاف.

وعند الحديث عن **كبار العلماء والقضاة الذين قاموا بالتدريس في المدرسة الصالحية**، فيمكن القول إن المدرسة الصالحية تميزت بتعدد المدرسين والأئمة والقضاة الذين قاموا بالتدريس فيها، نظرًا لتعدد مذاهبها، فقد كانت تدرس بها أربعة مذاهب، فكان يتولىٰ التدريس بها أربعة من المدرسين، ويساعد كل منهم معيدان(١).

ومدرسو المدرسة الصالحية الأوائل هم: من الحنابلة قاضي القضاة شمس الدين أبو بكر بن محمد بن العماد إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن أبي سرور المقدسي الحنبلي الصالحي[٢]. ومن الشافعية ابن بنت الأعز تاج الدين أبو محمد (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٨م). ثم درس بها ابناه صدر الدين عمر (ت ٦٨٠هـ/ ١٢٨٣م) وتقي الدين أبو القاسم عبد الرحمن (ت: ٦٩٥هـ/ ١٢٩٨م)[٣]. ومن الحنفية الصدر سليمان بن أبي العز بن وهيب بن عطاء الأذرعي (ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٩م)[٤]. ومن المالكية قاضي القضاة شرف الدين أبو حنفي عمر بن عبد الله صالح السبكي (ت ٦٦٩هـ/ ١٢٧١م)[٥].

---

١) محمد أمين: الصالح نجم الدين أيوب، ماجستير، القاهرة، ص١٩٠.

٢) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٣٧٤.

٣) السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص ١٧٤، السبكي: طبقات الشاملين، ج٥، ص١٣١.

٤) نفسه، ج١، ص١٩٨.

٥)المصدر السابق، ج١، ص١٩٤، وانظر أيضًا:

ويأتي في مقدمة الفقهاء والعلماء الكبار الذين قاموا بالتدريس في المدرسة الصالحية الفقيه الكبير الشيخ عز الدين بن عبد السلام (٥٧٨- ٦٦٠هـ) الذي قدم إلىٰ مصر في عهد الصالح أيوب، وأقام بها، وتتلمذ علىٰ يديه عدد كبير من علماء مصر في ذلك الوقت، ومن مؤلفاته الفتاوىٰ الموصلية، ومختصر النهاية، وشجرة المعارف، والقواعد الكبرىٰ والصغرىٰ، وبيان أحوال الناس يوم القيامة.

وكانت للعز بن عبد السلام مكانة كبيرة بين العلماء حيث تنحىٰ له العلماء عن أماكنهم، بل وامتنع معه الشيخ زكي الدين بن عبد العظيم المنذري عن الإفتاء من أجله تقديرًا له، وقال: «ليس لها إلا العز بن عبد السلام». وكان عز الدين شيخ المسلمين والإسلام وسلطان العلماء، لم ير من رآه مثله علمًا وورعًا وقيامًا في الحق وشجاعة وسلاطة لسان، وقد خرج السلطان الظاهر بيبرس في جنازته سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م، وحدث خاصته قائلاً: «اليوم استقر ملكي لي، فلو أمر عز الدين الناس في شأني بما أراد لأطاعوه مبادرين».

وكان السبب في إخراج عز الدين من دمشق أنه أسقط اسم الصالح إسماعيل أميرها من الخطبة عندما استعان بالفرنج وأعطاهم مدينة صيدا، وقد ساعد ابن عبد السلام في هذه الخطوة الشيخ جمال الدين بن الحاجب إمام المالكية[1].

ومن الذين قاموا بالتدريس في المدرسة الصالحية، محمد بن الحسن أبو عبد الله تقي الدين الحموي الشافعي، كان فقيهًا عالمًا عارفًا بمذهب الشافعي، كان قد

زكي محمد حسن: فنون الإسلام، ص٤٦٢.

عبد الرحمن زكي: القاهرة، ص١٠٠.

١) عن الفقيه الكبير عز الدين بن عبد السلام انظر:

السبكي: طبقات الشافعية، ج٥، ص٨٨.

العيني: عقد الحمان، ص٣٣٩، ط سنة ١٩٨٧م، دار الكتب المصرية.

النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص٧٧.

الذهبي: العبر، ج٥، ص٢٨٠- ٢٨١.

أفتىٰ ودرس وتولىٰ وكالة بيت المال بالشام، ثم سافر إلىٰ الديار المصرية سنة ٦٥٨هـ، واستوطنها وتولىٰ بها جهات دينية من تدريس، وقام بالتدريس في المدرسة الصالحية للطائفة الشافعية، وتوفي بالقاهرة في شهر رجب من هذه السنة[١].

ومنهم أيضًا الحسين بن عمر بن طاهر، كان إمامًا للحنفية بمحراب المدرسة الصالحية بالقاهرة، وقد سمع من حماد الحراني، وكان شيخًا حسنًا عفيفًا فاضلاً له معرفة تامة بالطب[٢].

والشيخ شرف الدين بن السيسي، إمام المدرسة الصالحية النجمية بالقاهرة، كان من أصحاب الشيخ علم الدين السخاوي، وهو أول من أم بالدار الأشرفية ثم سكن مصر[٣]. وأبو بكر الدينوري، الرجل الصالح صلاح الدين صاحب الشيخ عزيز بن عمر الدينوري، وهو الذي بنىٰ له الزاوية بالصالحية، وصار هو وجماعته يذكرون فيها عقب الصبح بأصوات طيبة، فلما مات الشيخ رحمه الله بقي الصلاح يقوم بعده بهذه الوظيفة[٤].

وقال عنه أبو شامة: "وكان عنده تعصب وكرم وله قراءة حسنة"[٥].

---

١) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص١٢٤، ط٢، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، ١٩٩٢.

٢) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٤٨، ص١٤٧، تحقيق: عمر عبد السلام، نشر دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٩٢، بيروت.

وانظر عنه أيضًا: الجواهر المضيئة، ج١، ص٢١٦، والدليل الشافي، ج١، ص٢٧٥، والمنهل الصافي، ج٥، ص١٦٦، ١٦٧، رقم ٩٥٢

٣) المصدر السابق، ج٤٩، ص٨٨.

٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٤١، والعيني: عقد الجمان، ج٨، ص٣٦٨.

٥) أبو شامة: ذيل الروضتين، ص٢٢٨.

وعماد الدين عبد الرحمن بن أبي الحسن، كان فقيهًا شافعيًا وإمامًا فاضلاً، تولىٰ إعادة المدرسة الصالحية بالقاهرة وصنف كتابه المشهور في الاعتراض علىٰ التنبيه، ولد بدمنهور سنة ٦٠٦هـ[1].

وعبد الرحمن بن أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد، كان بدمشق ثم انتقل إلىٰ مصر، فقام بالتدريس بالمدرسة الصالحية، ثم تولىٰ القضاء مدة، وكان إمامًا محققًا كثير الفضائل[2].

ومن الذين قاموا بالتدريس في المدرسة الصالحية أيضًا يوسف السنبكي وهو الشيخ العلامة الصالح جمال الدين ابن شيخ الإسلام القاضي زين الدين زكريا الأنصاري، درس في المدرسة الصالحية بجوار الإمام الشافعي وتوفيسنة ٩٨٧هـ[3].

والفقيه محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي، وهو محدث ومشارك في علوم شتىٰ ولد بدمشق وحضر علىٰ طائفة من فضلائها، ثم رحل إلىٰ بغداد، وأقام بها مدة وسمع بها من جماعة، ثم انتقل إلىٰ مصر وسكنها، وانتفع به

---

١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ج٧، ص٦٠١/ نشر دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١، ١٩٨٦م، وانظر أيضًا:
السبكي: طبقات الشافعية، ج٨، ص١٨٩.
والاسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص٥٥١.
وابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج٢، ص١٧١، ١٧٢.
والسيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٤٢٠.

٢) ابن مفلح: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، ج٢، ص٣٣٤، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان، ط١، الرياض، ١٩٩٠م.

٣) نجم الدين الغزىٰ: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ج٣، ص١٩٧، تحقيق: خليل المنصور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

الناس، وولىٰ بها مشيخة خانقاه سعيد السعداء والتدريس بالمدرسة الصالحية، إلىٰ أن توفي في ١٢ من المحرم سنة ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧م[١].

وتقي الدين بن دقيق العيد، وهو محمد بن علي بن وهب، ولد بالبحر الأحمر تجاه ينبع عندما توجه والده لتأدية فريضة الحج سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٦م، ولما قدم القاهرة قام بالتدريس بعدة مدارس، وانتهىٰ بالتدريس بالمدرسة الصالحية التي أنشأها الصالح نجم الدين أيوب، وكان قبل مجيئه إلىٰ القاهرة يقوم بالتدريس بدار الحديث ببيروت، وكان قد ورثه عن والده، وتوفي رحمه الله سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م[٢].

وعن **أهم المدارس التي سبقت وعاصرت المدرسة الصالحية بمصر الأيوبية** فيمكن القول إن العصر الأيوبي شهد نهضة فكرية وثقافية وأدبية ودينية رائعة، واحتل سلاطين الأيوبيين مكانة بارزة بين الحكام المسلمين في الاهتمام بالعلم والتعليم، حتىٰ أصبح لهذا العصر سمة خاصة، ولا أدل علىٰ ذلك من النتاج العلمي والمؤلفات الكبيرة التي تزخر بها المكتبات الإسلامية، إلىٰ جانب الشخصيات البارزة التي تألقت ونالت حظها في ميدان الفكر والدين والسياسة.

ومما لاشك فيه أن الأيوبيين اهتموا اهتمامًا كبيرًا بالفنون والآداب وازدهار التعليم، وكان قيام الدولة الأيوبية في مصر فاتحة عهد جديد في تاريخها من حيث تقدم الفنون والآداب. وقد اشتهر سلاطين بني أيوب وملوكهم بحبهم للعلم والعلماء، وقد وضح ذلك منذ أن نجح صلاح الدين الأيوبي في إقامة دولته بمصر

---

١) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ج٨ ص٢٠٨، ط بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٢) السبكي: طبقات الشافعية ج٦ ص٢، ٣.

الإدفوي: الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ترجمة رقم ٦٤٣، ص٥٦٧- ٥٧٠/ ط٢، الهيئة المصرية العام للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠٠٠م، ت سعد محمد حسن، مراجعة د. طه الجاحري.

الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ترجمة رقم ٤٨٩، ص٧٨٢- ٧٨٥، ط١، دار ابن كثير للطباعة والنشر.

سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، فكان أول ما قام به أن أبطل شعائر الشيعة في مصر وأحل محلها شعائر السنة، وقد تأكد ذلك عندما قام بتحويل المدارس الشيعية في مصر إلىٰ مدارس سنية، فلذلك نرىٰ أن المدرسة الأيوبية كانت هي الأساس الأول الذي بدأ فيه صلاح الدين تنفيذ سياسة دولته، سياسيًا ودينيًا[١].

وهكذا كان صلاح الدين هو أول من أدخل نظام المدارس إلىٰ مصر بقصد محاربة التعليم الشيعي[٢].

وقد أنشأ صلاح الدين عدة مدارس بالقاهرة وغيرها، وسار علىٰ منواله الأمراء وكبار رجال الدولة في إنشاء المدارس، ووقف الأوقاف عليها، لضمان استمرار النفقة علىٰ المدرسين والعاملين بالمدرسة، فضلاً عن الطلاب مما أدىٰ إلىٰ قيام حركة فكرية واسعة.

ومن المنطقي تصور خطوات صلاح الدين نحو الإعداد لإحياء المذهب السني في مصر كخطوة أخيرة، للقضاء علىٰ الدولة الفاطمية، ومن هنا تعددت المدارس وتنوعت في مصر خلال العصر الأيوبي، فكان من المدارس التي خصصت لتدريس المذهب الشافعي:

المدرسة الناصرية الأولىٰ، وكان مكانها سجنا يعرف بدار المعونة هدمه صلاح الدين سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م، وأنشأ مكانه مدرسة للفقهاء الشافعية وهي بجوار جامع عمرو بن العاص، وقد علق عليها المؤرخ الكبير المقريزي بقوله: "وكان هذا من أعظم نزل بالدولة - أي الدولة الفاطمية[٣] وقيل إن هذه المدرسة

---

١) د. عفاف سيد صبره: المدرس في العصر الأيوبي، ص١٤٠.

٢) العريني: مصر في عصر الأيوبيين، ص٢٢١.

وحتىٰ: تاريخ العرب، مج٢، ص٧٨٢.

ومحمد فريد أبو حديد: صلاح الدين الأيوبي وعصره، ص٢١٢.

٣) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٦٣.

سميت بالناصرية نسبة للناصر صلاح الدين[1] إلا أن سبط ابن الجوزي أطلق عليها اسم المدرسة الصلاحية، وكان المؤرخون يعتبرونها مدرسة أخرىٰ غير هذه المدرسة وأن صلاح الدين أمر ببنائها سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م[2].

وقد استمرت تلك المدرسة في أداء مهمتها التعليمية إلىٰ أيام المقريزي ولم يعرف عنها شئ بعد ذلك[3]، وكان من أشهر المدارس الشافعية التي أسست بمصر في العصر الأيوبي أيضًا، المدرسة التقوية نسبة إلىٰ واقفها تقي الدين عمر بن شاهنشاه وهو ابن أخي صلاح الدين الأيوبي[4]، وقد بناها تقي الدين عمر لتكون مدرسة للفقهاء الشافعية، وكان تاريخ إنشائها قبل سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م، وكان أهم من قام بالتدريس بها الشهاب الطوسي (٥٢٢- ٥٩٦هـ/ ١١٢٨- ١١٩٩م)[5].

وذكر المؤرخون في حوادث سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م أن الملك الناصر صلاح الدين قد أمر ببناء مدرسة بجوار تربة الإمام الشافعي وهي التي أطلق عليها

---

١) المصدر السابق، ج٢، ص٢٦٢.

٢) السبكي: طبقات الشافعية، ج٦، ص٢٤.

وعبد الرحمن زكي: منشأة القاهرة وامتدادها في أيام الأيوبيين، المجلة التاريخية المصرية، مطابع سجل ؟؟؟، القاهرة، سنة ١٩٧١م، ج١٨، ص١٥٨.

٣) أحمد بدوي: الحياة العقلية، ص٤٣.

٤) تقي الدين عمر بن شاهنشاه: تولىٰ ولاية حماه وتوفي سنة ٥٨٧هـ، انظر: المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٦٤.

٥) المنذري: التكملة لوفيات الثقلة، ج١، ص٢٦٥.

والشهاب الطوسي: هو شهاب الدين أبي الفتح محمد الطوسي الشافعي نزل مصر سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م. انظر أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، ط١، بيروت، ١٩٤٧م، ص١٨٧.

(المدرسة الناصرية الثانية) وقد تم بناؤها سنة ٥٧٢هـ، وكانت وقفًا علىٰ فقهاء المذهب الشافعي[١].

وقد ظلت هذه المدرسة موضع رعاية من سلاطين مصر من ناحية تجديدها وتوسيعها[٢].

وتأتي المدرسة الكاملية كواحدة من أهم المدارس في العصر الأيوبي وقد بناها الملك الكامل في حدود سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م، واصطلح علىٰ تسميتها بدار الحديث، نظرًا لأن واقفها الملك الكامل قد جعلها باتفاق المؤرخين لتدريس علم الحديث وما يلحق بذلك من علوم[٣] وهي ثاني دار عملت للحديث لأن أول دار كانت للملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق[٤]، وقد وقفها الملك الكامل علىٰ المشتغلين بعلم الحديث النبوي ثم من بعدهم علىٰ الفقهاء الشافعية[٥] وهذه المدرسة تهدم معظمها فيما بعد، وكان مكانها بشارع المعز لدين الله بالقاهرة[٦].

---

١) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٤٤٠، البنداري: سنا البرق الشامي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٧٩م، ص٢.

٢) اليافعي: مرآة الجنان، ج٤، ص٧٤، أبو الندا: المختصر، ج٣، ص١٦٣.

٣) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ص٨٦، ابن دقماق: الجوهر الثمين، ص٣.

٤) نور الدين محمود: هو الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي (٥١١- ٥٦٩هـ/ ١١١٨- ١١٧٤م) كانت حياته حافلة بالإنجاز والعطاء والبذل والجهاد وكانت فترة ولايته من أخصب الفترات التي مرت بالمسلمين.

انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢، ص٢٧٧، د. سهيل طقوش: تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، ص٢٥٢، ٣٩٤، ٤٢٠.

٥) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٧٥.

٦) سعاد ماهر: مساجد مصر، ج٢، ص٢٠٦، و أحمد فكري: مساجد مصر، ج٢، ص٥٥.

Creswell K.G.C op. Cit, p. 80

ومن أهم المدارس التي خصصت لدراسة المذهب المالكي، المدرسة القمحية، وهي أول مدرسة للمالكية بمصر في العصر الأيوبي كان موضعها يعرف بدار الغزل وهي قيسارية، يباع فيها الغزل بجوار الجامع العتيق فهدمها السلطان صلاح الدين الأيوبي وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م، وقد عرفت هذه المدرسة باسم المدرسة المالكية بمصر حينًا وبالمدرسة القمحية حينًا آخر[١] وقد زالت هذه المدرسة ولا أثر لها اليوم.

ومن المدارس المالكية أيضًا (المدرسة الصاحبية) وكانت قديمًا تعرف بدار الديباج وهي دار الوزير أبي الفرج يعقوب بن كلس[٢] وقد أنشأها صفي الدين عبد الله علي بن شكر وجعلها وقفًا علىٰ المالكية[٣].

ومن أهم المدارس التي خصصت لتدريس المذهب الحنفي (المدرسة السيوفية) وهي أول وأهم مدارس الفقهاء الحنفية وقفها السلطان صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٧٢هـ/ ١١١٦م، وقد عرفت باسم السيوفية نسبة إلىٰ سوق

---

١) ابن دقماق: الانتصار ج١، ص٩٣، المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٦٤.
أحمد أحمد بدوي: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د. ت، ص٤٤.
محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٦٢م، ج٣، ص٧٤.
ومن الجدير بالذكر أن تسميتها بالقمحية – يعود إلىٰ أن معلومها كان يصرف للمدرسين والطلبة قمحًا، انظر: القلقشندي: صبح الأعشىٰ، ج٣، ص٢٩١.
وعبد الرحيم غنيمة: تاريخ الجامعات، ص٨٨.
٢) القلقشندي: صبح الأعشىٰ، ج٣، ص٢، ٤، ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ص٨٩.
٣) الصاحب الوزير صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر، وزير السلطان العادل الأيوبي، ولد سنة ٥٤٠هـ ونفقه علىٰ مذهب مالك، وله كتاب البصائر في الفقه، توفي سنة ٦٢٢هـ انظر: ابن فرحون: الديباج المذهب، ص١٤٣.

السيوفيين الذي كان حينئذ علىٰ بابها[1] أما المدارس التي أعدت لتدريس مذهبين فمن أهمها (المدرسة الفاضلية) وهي أول مدرسة بمصر توقف علىٰ مذهبين، وكان واقفها وهو القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني، وقد خصصها لتدريس فقهي مالك والشافعي، كما جعل فيها درسًا للقراءات، وقد بدأ التدريس بها سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م[2].

ومن المدارس التي لم يعرف المذهب الذي خصصت من أجله (مدرسة المُعظَّم توران شاه)[3] فقد ذكر المؤرخ المقريزي في حوادث سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م، أن صلاح الدين كان قد عمر مدرسة علىٰ ضريح المعظم توران شاه وذلك يالإسكندرية أثناء زيارته لها. ولم تشر المصادر بأية معلومات عن هذه المدرسة من حيث المذهب، أو من قاموا بالتدريس فيها[4].

---

١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٥٨، أحمد بدوي: مرجع سابق، ص٤٥.
عبد الرحيم غنيمة: مرجع سابق، ص٨٦.
Creswell, K.A.C op. Cit, p. 130.

٢) النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص٣٧، المنذري: التكملة، ج٢، ص٩٨.
السيوطي: حسن المحاضرة، ج١، ص٤٩٩، ابن الجوزي: غاية النهاية، ج٢، ص٢٢.

٣) توران شاه: شمس الدورة توران شاه بن نجم الدين أيوب أخو صلاح الدين قدم إلىٰ مصر في صحبة إخوته سنة ٥٦٤هـ ولما زالت الدولة الفاطمية أقطعه ؟؟؟ وأعمالها ثم سيره إلىٰ اليمن سنة ٥٦٩هـ، ففتحها في سنة ٥٧١هـ، سيره إلىٰ دمشق وفي سنة ٥٧٤هـ دخل القاهرة إلىٰ حين وفاته سنة ٥٧٦هـ.

٤) المقريزي: السلوك ج١، ق١، ص٧٦.
د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية، سنة ١٩٨٢م، ص٢٤٩.

نتائج البحث

١- أن رغبة أهل السنة في نشر مذاهبهم ومحاربة التشييع في العالم الإسلامي كان له دور كبير في انتشار المدارس بمصر خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين.

٢- أن كثرة إنشاء المدارس بمصر قد تم علىٰ أيدي الأيوبيين منذ أن تولىٰ صلاح الدين الأيوبي الوزارة.

٣- من الملاحظ أن ظهور المدارس بكثرة بمصر قد تأخر إلىٰ أوائل القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي نتيجة لحكم الفاطميين الشيعة.

٤- كان للمدارس التي أنشئت بمصر الأيوبية دور كبير في إضعاف المذهب الشيعي في نفوس المصريين، مما أدىٰ إلىٰ انحسار الفكر الشيعي بالمجتمع المصري.

٥- أن إنشاء المدرسة الصالحية علىٰ المذاهب الأربعة في مصر جاء شاهدًا علىٰ مكانة كل مذهب من المذاهب الأربعة بين المصريين.

٦- أن اهتمام الملك الصالح نجم الدين أيوب بجعل مدرسته تقوم علىٰ تدريس المذاهب الفقهية الأربعة قد حقق نوع من التوازن المعقول بين تلك المذاهب، وخاصة بعد أن كان المذهب الشافعي في المقدمة.

٧- يلاحظ أن المدارس في مصر في العصر الأيوبي قد عبرت عن الحرية المذهبية التي تمتع بها أفراد الشعب المصري.

٨- قام سلاطين بني أيوب بالرعاية التامة للمدارس، سواء كانت حكومية، أو أهلية. وقد نظمت مدارسهم من الناحية المالية والإدارية إلىٰ درجة عالية.

٩- نجحت المدرسة الصالحية – وغيرها من المدارس الأخرىٰ في مصر- في فك العزلة الثقافية التي فرضها الفاطميون علىٰ مصر إبَّان حكمهم.

١٠- ساهمت المدرسة الصالحية – وغيرها- في انتشار علوم أهل السنة من فقه، وحديث، وتفسير، وقراءات، كما أنها قامت بدور سياسي واجتماعي في مصر لا يمكن تجاهله.

"والحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة"

*** * ***

(مبنى المدرسة الصالحية)

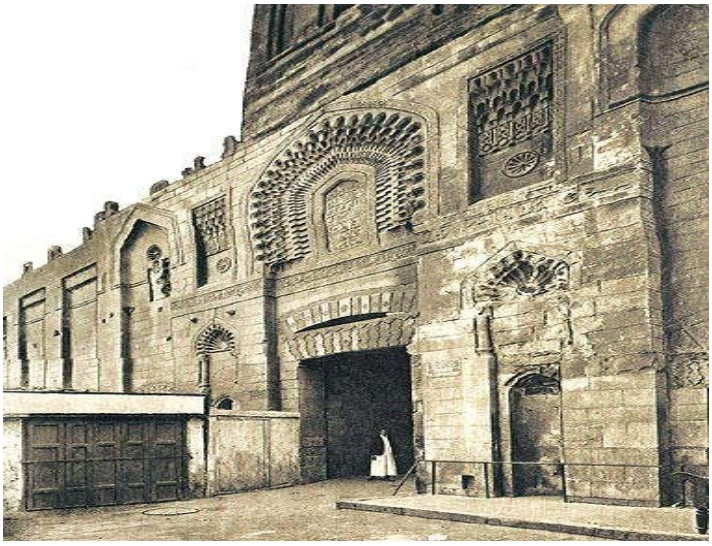

(ما تبقى من واجهة المدرسة الصالحية)

(مئذنة المدرسة الصالحية)

أهم المصادر والمراجع

أولا : المصادر:

* ابن الأثير (علىٰ بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، ت ٦٣٠هـ ـ ١٢٣٢م):

١- الكامل في التاريخ: دار صادر، بيروت للطباعة والنشر ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦م.

* الإدفوي (أبي الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب ت ٧٤٨هـ ـ ١٣٤٧م):

٢- الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٦م.

* ابن أسعد اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علىٰ بن سليمان ت ٧٦٨هـ ـ ١٣٦٦م):

٣- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان (١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠م).

* الإسنوي (جمال الدين عبد الرحيم ت ٧٧٢هـ ـ ١٣٧٠م):

٤- طبقات الشافعية، تحقيق/ كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، الطبعة الأولىٰ (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

* ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ ـ ١٥٢٣م) :

٥- بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

* البنداري (الفتح بن علىٰ البنداري ت ٦٤٢هـ ـ ١٢٤٤م):

٦- سنا البرق الشامي، تحقيق/ فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٩م.

* ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ ـ ١٤٦٩م):

٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتاب، القاهرة، ١٩٣٩م.

* ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علىٰ ت ٨٥٢ هـ ـ ١٤٤٨م):
٨- رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: حامد عبد المجيد ومحمد المهدي أبو سنة ومحمد إسماعيل، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥٧م.
* الحنبلي (أحمد بن إبراهيم ت ٨٧٦هـ ـ ١٤٧١م):
٩- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٦م.
* ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون المغربي ت ٨٠٨هـ ـ ١٤٠٥م):
١٠- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٨م.
*ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ ـ ١٢٨٢م): ١١-
١١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٤٩م.
* الداوودي (شمس الدين محمد بن علىٰ بن أحمد ت ٩٤٥هـ ـ ١٥٤٢م) :
١٢- طبقات المفسرين ، بيروت، لبنان ط ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
* ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر ت ٨٠٩هـ ـ ١٤٠٦م):
الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علىٰ ، عالم الكتب، بيروت، ط ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
* الذهبي (شمس الدين محمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ ـ ١٩٨٥م):
١٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان، تحقيق: بشار عواد معروف، وشعيب الأرنؤط، وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
* سبط بن الجوزي (شمس الدين أبي المظفر يوسف قزاوغلي التركي ت ٦٥٤هـ ـ ١٢٥٦م):

١٤- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكرن، ط ١٣٧٠هـ- ١٩٥٠م.

* السبكي (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب ت ٧٧١هـ- ١٣٦٩م):

١٦- طبقات الشافعية الكبرىٰ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الطناحي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ القاهرة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٧- معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علىٰ النجار وأبو زيد شلبي ومحمد أبو العيون، القاهرة ط٢ ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

* السخاوي (أبي الحسن نور الدين ت ٩٠٢هـ- ١٤٩٦م):

١٨- تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، مكتبة العلوم القاهرة ط١، ١٣٥٦هـ- ١٩٣٧م.

* السيوطي (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ- ١٥٠٥م):

١٩- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٨٠م.

* أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ت ٦٦٥هـ- ١٢١٧م):

٢٠- تراجم رجال القرنين تصحيح محمد زاهد بن الحسن الكوثري وراجع أصله السيد عزت العطار الحسيني، دار الجيل بيروت ط١، ١٩٤٧م.

* ابن ظهيرة:

٢١- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفي السقا، كامل المهندس، مركز تحقيق التراث وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٩م.

* ابن عبد الظاهر (محي الدين بن عبد الظاهر ٦٩٢هـ- ١٢٩٣م):

٢٢- الروضة البهية الزاهرة في الخطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد سيد مكتبة الدار المغربية للكتاب، القاهرة د، ت.

* ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ-١٦٧٨م):
٢٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة ١٣٥٠هـ .
* العيني (بدر الدين محمد ت ٨٥٢هـ- ١٤٥١م):
٢٤- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧م.
* الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي ت ٨٠٣هـ- ١٤٠٠م):
٢٥- القاموس المحيط، مؤسسة الحلبي للتوزيع والنشر القاهرة د، ت.
* القلقشندي (شهاب الدين أحمد بن علىٰ ت ٨٢١هـ-١٤١٨م):
٢٦- صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسنين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
* ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٧٤هـ- ١٣٧٢م):
٢٧- البداية والنهاية، مكتبة المعارف ، بيروت ط١ ١٩٦٦م.
* المقريزي (تقي الدين أحمد بن علىٰ ت ٨٤٥هـ- ١٤٤٢م):
٢٨- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الطباعة المصرية القاهرة، ١٩٨٨م.
* المنذري (زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي ت ٦٥٦هـ-١٢٥٨م):
٣٠- التكملة لوفيات النقلة، تحقيق د/ بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة -بيروت ط٤ ١٩٨٨م.
* ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم ٧١١هـ- ١٣١١م):
٣١- لسان العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة د ، ت.
* النابلسي (فخر الدين عثمان بن إبراهيم ت ٦٦٠هـ-١٢٦٢م):

٣٢- لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٧٨م.

* النعيمي (عبد القادر محمد الدمشقي ت٩٢٧هـ- ١٢٥٠م):

٣٣- الدارس في المدارس، تحقيق جعفر الحسيني، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٨٨م.

* النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ- ١٣٣١م) :

٣٤- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق الباز العريني، مكتبة دار الكتب ، القاهرة، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

* ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧هـ- ١٢٩٨م):

٣٥- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، نشر جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٣م.

* ابن الوردي (زين الدين عمر بن الوردي ت ٧٥٠هـ- ١٣٤٩م):

٣٦- تاريخ بن الوردي، مطبعة جمعية المعارف، القاهرة ١٢٨٥هـ- ١٨٦٨م.

* ياقوت الحموي (ابن عبد الله الرومي ٦٢٦هـ- ١٢٢١م):

٣٧- معجم البلدان، دار صادر بيروت ١٣٩٧هـ- ١٩٧٦م.

* اليونيني (قطب الدين أبو الفتح موسىٰ بن أحمد بن قطب الدين ت ٧٢٦هـ - ١٣٢٤م):

٣٨- ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

ثانيا: المراجع الحديثة:

* أحمد أحمد بدوي:

١- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ١٩٧٢م.

* أحمد شلبي:

٢- التربية الإسلامية، نظمها، فلسفتها، تاريخها، ط٦، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٨م.

* أحمد عبد الحميد خفاجي:

٣- المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، رسالة دكتوراه، القاهرة ١٩٩٩م.

٤- جوانب من الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي، دار الرشاد للطباعة والنشر، الإسكندرية ١٩٨١م.

* أحمد فكري:

٥- مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦م.

* حسن أمين:

٦- المعهد الأول للتعليم عند المسلمين، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، مطبعة جامعة الإسكندرية، العدد ٢٢، ١٩٦٨م.

* حسن الباشا وآخرون:

٧- القاهرة وتاريخها وفنونها وآثارها، مراجعة د/ حسن الباشا، القاهرة ١٩٧٠م.

* حسنين محمد ربيع:

٨- النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، دار النهضة العربية القاهرة، ١٩٩٠م.

* سعاد ماهر محمد:

٩- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة ١٩٧٦م.

* سعيد إسماعيل علىٰ:

١٠- معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة د، ت.

* السيد عبد العزيز سالم:

١١- تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٩٨٢م.

* عبد اللطيف حمزة:

١٢- الحركة الفكرية في مصر في العصريين الأيوبي والمملوكي الأول، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦م.

* عفاف صبرة:

١٣- المدارس في مصر في العصر الأيوبي، أبحاث ندوة المدارس في مصر الإسلامية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م.

* محمد عبد الرحيم غنيمة:

١٤- تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرىٰ، دار الطباعة المغربية تطوان، ١٩٥٣م.

* ناجي معروف:

١٥- تاريخ علماء المستنصرية، دار الشعب، القاهرة ١٩٧٥م.

ثالثا: الرسائل العلمية:

* ماجدة محمد حسن:

١- الثقافة والتربية في مصر علىٰ عهد بني أيوب رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة المنيا، ١٩٨٧م.

* محمد محمد أمين علىٰ:

٢- السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٨م.

رابعا: المراجع الأجنبية:

1- Crewell (k.c): Muslim Architecture af Egypt, oxford,1960 .

2- Degiulhem (Rand): le Waqf dans lespace islamique,Damas,1995 .

3- Devon shire (Mrs.R.I): some Cairo Mosques and their founders . London 1921 .

4- Lamp Harold,: the crusades, London,1931.

5- lane poole (Stanley): saladia and the Fall of the Kingdom of Jerusalem,Beirut, 1964

6- Leiser . G: Nots on the madrasa in Meieval Islamic Society . MW LXXVI . (1981)

7- Stevenson: the crusaders in the East, Combridge 1907.

8- Van cleve (Tomas.c): the fifth crusade, London, 1958.